

بشارع محمد على رقم ١٠٥
قريباً من دار الكتب الملكية بمصر

دائما

تصدر روايات جديدة

روايات حديثه

تطلب من ادارة مطبوعات الخليل ومجلة مسامرات الخليل

بشارع محمد على رقم ١٠٥ مصر

صـ

٦ ابناء الشمس أو الحروب الفرنسية المراكشية جزءان

١٠ الابنتان المفقودتان ثلاثة أجزاء

٦ جاك شبارد الشهير بلص انكلترا جزءان

٥ فظائع آل بورجيا جزءان

٤ دماء فى أرض مصر

٦ الزهرة الفاتنه أو الكونتيس المثلة جزءان

٢٠ ٣ روميو وجوليت تاريخهما وحوادثهما تفصيليا بقالب روائى

٥ عمرو جميلة أو فى ربا لبنان رواية مزينة بعشرين صورة

٥ فاتنة الامبراطور فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا

٦ المجهولة الحسناء جزان

١٥ نابغة اللصوص سبعة أجزاء

١٠ الرفاق الثلاثة . ثلاثة أجزاء

٥ نابليون ولويس السادس عشر

٢٠ ٢ تباريح الهوى

٧ ابنة الدوق جزءان

١٠ الجندى المتطوع ثلاثة أجزاء

الأميرة الطائرة

أدبية . غرامية . اخلاقية . فلسفية

(تأليف)
القصصي الفرنساوي
ليون سازي

(تعريب)
مدير شئون المجلة وتحريرها
خريستو قزح

(طبعت بنفقة وعناية ناشرها)



ومجلة مسامرات الخليل

وتطلب منه بادارته بشارع محمد على رقم ١٠٥ قريبا من دار الكتب الملكية بمصر

الجاسوس السري

رواية ادبية غرامية اخلاقية حربية ، حصلت وقائعها اثناء حرب التونكين في اميركا ، فيها كثير من الحوادث الشيقة الرائقة والاخلاص الوطني الشديد ، وتضحية كل ماعز وهان في سبيله ، يتخلل ذلك ادوار غرامية شريفة لطيفة ، من مؤلفات الكاتب القصصي كبروس تاونسيد برادي ، وتعريب الآنسة كاترين جورج باشا ، وهي جزآن وثمنها سبعة غروش صاغ وتطلب من ادارة مطبوعات الخليل ومجلة مسامرات الخليل بشارع على رقم ١٠٥ قريبا من دار الكتب الملكية بمصر

الفصل الاول

زواج هنى

تبتدي حوادث قصتنا هذه في يوم عيد من اعياد الفرنسيس ، في قرية صغيرة تدعى « بروغ» بمقاطعة « بواتو » من اعمال فرنسا، وقد احتفل اهل القرية بحفلة زواج مع حفلة العيد ، وذلك القران لسعيد كان لكل من فيكتور ديلار ، وماري دي ملفو

كان الفتيان كريمين عليهم محببين اليهم ، وهما متآلفين متعاشقين منذ الصغر ، ربيا متجاورين وشبا متعارفين متلازمين، فاتحد قلباهما حبا منتظرين ساعة الاتحاد قالبا وقلبا ، وكان والد فيكتور غنيا كثير الاملاك ، يسكن قصرا فسيحا قديما في غور واد بهيج ، اما والد ماري فكان من الشرفاء الذين انحت الثورة الفرنسوية (عام ١٧٨٩) على اموالهم ، وكدرت صفو احوالهم، فكان لذلك فقيرا يسكن بيتا حقيرا في بروغ لا يملك غيره ،غير ان هذا الفرق بين ثروة الرجلين لم يمنع الكونت ديلار والد فكتور، من قبول الفتاة التي اختارها ابنه اهلا له ، بل كان يقول :ـ

ان مال فيكتور كاف للاثنين وان ماري خير من كنوز الارض

وكان فيكتور مليح الشباب جميلا فائق الحسن ، حاد المزاج

قابلا للانفعالات الشديدة ، وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من سنيه ، وقد جمع قواه الى ذلك اليوم في محبة ماري فكانت شهواته راقدة تحت ظلال تربيته الحسنة ، فلم يكن يعلم من احوال الحياة غير مايحاط به ، حتى انه لم يذهب الى مدينة بواتو [illegible] ثلاث مرات ولم يلبث فيهن غير بضع ساعات ، اذ كان يلم به الشوق الى منزلهم والوادى والغابات النضيرة ، فيعود متمنيا لو ان له جناحين ليطير بهما .

وجملة القول انه كان قوى الطباع غزير الذكاء ، ولكنه غير مدرب علي اساليب الحياة المدنية ، اذ قد تولى تهذيبه اناس اقل منه ذكاء ، وعلومهم محدودة منحصرة في الاحوال الدينية والبيتية ، ولذلك غدا لايعرف مقدار نفسه ولايدرى بما هو محتاج اليه .

وكان الذى علمه مبادىء العلم والادب ، قسا تقيا يدعى الاب برنار ، وهذا القس لم يكن واقفا على اسرار القلوب ، ولم يكن عارفا باحوال الرجال ، فكان يحمد الله سبحانه على ان يسر له تلميذا لين العريكة صادق الارادة ، ولم يكن يعلم ان من وراء ذلك الهدوء والصفاء ، بركانا ان مسته شرارة اوقدت فيه نارا ، تهدم في طرفة عين مابناه له من قصور المناء لمستقبل الايام

اما مارى فكانت ساذجة كغيرها من فتيات القرى ، مماثلة لأليفها فى عدم معرفة مقدار نفسها ، جامعة بين فضائل النساء

وشجاعة الرجال ، صرفت ايام طفوليتها واوقات صباها في حجر والدها ، اذ قد توفت والدتها عنها وهي صغيرة، فكان شيخا عاجزا فلم يكتشف لها من اسرار الحياة غير المعروف والاحسان والحب الخالص فكانت تهمل نفسها تفرغا للعناية بشأن من يحتاج اليها، وتبذل حياتها في سبيل من تميل نفسها اليه . وكانت معتدلة القامة بهية الطلعة جذابة العينين ، وقد جعلت نفسها وقفا على حب فيكتور ، لما ظهر لها من شجاعته وكرم سليقته ، فكانت هائمة فيه مدلهة بحبه

وعليه فقد كان اقتران فيكتور بماري على هذه الملائمة الظاهرة قد بشر البيتين بنعيم مستمر وعيشة رضية ، غير ان هذا الاقتران قد اوجد بينهما حالة غير مأمونة العاقبة ، ألا وهي حالة عدم الاختبار

وكان المتفق عليه بين البيتين ان ماري ووالدها يسكنان بعد الزواج قصر الكونت ديلار بوادي مرة لي ، فلما انتهت حفلة الاكاليل في الكنيسة عادت العروس الى بيت ابيها لتودع احبابها واترابها والارض التي نشأت بها ، فطافت مع زوجها بحديقة المنزل ثم دخلت غرفتها ، لتنظر لآخر مره ستائرها البيضاء وما حولها من اغصان الياسمين والريحان ،وتودع الصورة التي كانت تستقبلها في الصلاة ، فأثر فيها الوداع فقالت لفيكتور

ـ لن اعود بعد الى هذا المكان وانت تعلم انى سائرة عنه باختياري وقبولى ومع ذلك فبى من وداعه غصة لااستطيع لها منعا ولا ادرك لها سرا . ثم انى ذاهبة معك مستصحبة والدتى الى منزلك ولست مبقية هنا غير هذا المنزل الصغير ومنهم الازهار التي غرستها بيدى ومع هذا فقلبي يكاديذوب التياعا فقل لى فد يتك ماسر هذا الانفعال

ـ انك تجلبين علي الغم واليأس بما تتشاءمين فان ذلك يدل علي ارتيابك بى وضعف اتكالك على . اما تثقين بحبي ياشقيقة الروح ؛ اما تعتمدين علي شرف . أو ما تعلمين اني احبك حب كرام الرجال ؟

فكفكفت الفتاة عبرتها وتجلدت لتدفع الكدر عن فكتور ثم تقدمت الى قفص فيه بلبل كانت قد علمته ضروبا من الالحان فحلت رباط القفص واحتملته الى الحديقة ، ونادت بابنة البستاني واهدت اليها القفص قائلة

ـ احتفظي بهذا تذكارا مني ياعزيزتى

وكانت العربات عند الباب ، فركب الكفالبير دى ملفو والدماري الى جانب الكونت ديلارو الدكتور، وركب العروسان بعدهما عربة مجللة بانواع الزينة ، ولما اختليا بالعربة انكشف

من سماء فكرهما سحابة الريب ، فانجلى لهما الهناء في ذلك اليوم السعيد ، فلم يبق في نفسهما عند الوصول الى القصر غير الفرح والسرور

كان قصر (ميره لى) من قبل ديرا قديما لبعض الرهبان اشتراه الكونت ميلار من اسقف بواتيه واتخذه لنفسه داراً ، وهو منفرد لم ير مثله في وحشته ، ومع ذلك فقد كان بهج المنظر جميل الترتيب ، ان الغرف والكنيسة كانت على ماعليه من الوحشة في زمن الرهبان ، ولكن اشجاره المتفرقة المحدقة بواديه الضيق البعيد الغور ، وسكون الغابات من حوله ، وخرير جدول الوادي المتدفق كالفضة على حصباء كالجواهر ، بين الصفصاف الباكي والنيلوفر الضاحك ، كل هذه المناظر كانت في القصر من مظاهر الانس وتجليات الجمال

قضى العروسان شهر العسل في هذا القصر ، وقد خالاه قصيرا جداً بما طال فيه من السرور والفرح والابتهاج فكانا يشكران الله على ان أوجدهما ، ويحمدانه على أن جمع شملهما ولا يشعران فيما عبر من أيامهما الا بالهناء الخالص ، الذى لا تظهر فيه للجوى آثار ، فكانت سعادتهما سارية على مهل ، والايام جارية على عجل

وبعد القرآن بعام واحد ولدت مارى غلاما هي الطلعة

بارع الحسن ، فاشتدت به رابطة الاتحاد بينها وبين فكتور ، فازداد عناية بها وحبالها وسكونا اليها واجتهادا فى مرضاتها ، فكانت ولادة الغلام بركة جديدة على الزوجين . اما ماري فقد وجهت عنايتها وصرفت قوتها الى القيام بالتضحيات الوالدية ، حتى ظهر لها المستقبل على شكل جديد ، فانها لم تكن تتصور قبل الولادة غير منزلها وواديه ، فلما رزقت ذلك الغلام انفتحت لعينيها ابواب التأمل فى هذه الحياة ، وما فيها من الطرق المتشعبة للمطامع والامانى في المجد والعظمة ، فكانت كلما نظرت الى رأس طفلها الجديد وهيئته المماثلة لهيئة ابيه ، حتى كأنه متقمص فيه تقول في نفسها علي غير اختيار منها ، ان هذا الغلام جدير باعلى واوسع من هذا المقام ، ولا ترضي له بالحالة التي هي عليها وان كانت اسعد الحالات لديها واحبها اليها ، بل تروم ان يوجد بحيث يرتفع قدره ويعظم شأنه بين الناس ، حتى يكون فيهم قبسا من الاقباس ، وجملة القول ان الطفل قد فتح بين يديها ابواب الامال ، فانقذها من الملال ونقص الكمال

اما فكتور فكان يشعر من نفسه بامتلاء ذهنه بخواطر ، لا يجد لها كشفا ولا يدرك لها كنها ، فيسرح فى غابات مره لى من اصباح الى المساء ، متنزها بل هائما فى ذلك الوادي ، متنقلا

بندقيته وهو لا يطلب صيدا ، متعجبا من نفسه ومن ملاله . وكان قد قرأ الكتب التي في خزانة ابيه ثلاثا ، وجمع من شذرات الالباب وخطرات الافكار مايؤلف منه عدة اسفار ، حتى اعتراه الضجر والسآمة ، فبات لا يحفل بهذه الاشغال ولا يجد فيها راحة البال ، فينطلق فكره في مجال الخيال ، ويهيم في اودية الاماني والامال ، على اختلاف بينه وبين زوجته في ذلك ، اذ ان هاجسه لم يكن متعلقا بولده ، بل بالمجد والحب وبهارج الحياة ، فكان يتصور لنفسه سؤددا عاليا ويتمني لها صيتا باقيا ، ويتخيل انواع اللذات ويهجس بقضاء الشهوات ، وجراثيمها ترتفع في فؤاده وتنمو وتطلب الامتداد فيضيق عليها ذلك الواد

وفي تلك الايام قدم الى بواتو عائلة من نبلاء باريس ووجهائها واشتروا فيها قصراً يقال له قصر سرفيل على مسافة ميلين من قصر مره لى ليقيموا فيه فصل الربيع ، فانه يكون في تلك البلاد بهيج بديع ، فتحدث الناس في قدومهم كثيرا ، واختلفت في امرهم الاقوال والاراء ، وماكان ذلك لغرابة شأنهم غير ان سكان بواتو من اهل التقليد ، حريصين على عادات البيوتات القديمة ومبادئهم في الهيئة الاجتماعية ، سيما اهل المقامات المعروفة فيهم ، فان اكثرهم من قدماء النبلاء الذين لم يخرجوا من اوطانهم الا للمهاجرة مع

آبائهم ، يوم غلبت الثورة الفرنساوية على احزاب الملك ، وسار هؤلاء الاحزاب يستنجدون الملوك عليها ، ومن اجل هذا كان في اولئك النبلاء احترام بالغ للعادات القديمة ، و[illegible] للحالات الجديدة ، ونوع من الاحتراز والاعتزال [illegible] في الادب يشبه ان يكون جفوة وخشونة ، فكانوا لا يعرفون منزلة اهل الكياسة ولا يعلمون قدر الفنون

كانت تلك العائلة الباريسية عبارة عن سيدة في منتصف العمر ، يقال لها المركيزة درميل وثلاث بنات لها فتيات عذارى ، لم يصادفن عند اهل بواتو اقبالا ، بل سرى بين جماعة النبلاء عنهم ان اولئك النساء غير جديرات بالقبول رأسا ، فان الام منهن كثيرة التذكر لحسنها الماضي الزائل ، شديدة العناية بحفظ بقاياه ، والبنات متبرجات غير مصونات يظهرن باثواب لا تستر الاكتاف ، ولا تحجب الصدور عن الانظار . ومع ذلك فقد خاطر بعضهم بزيارة هؤلاء الضيوف . وغلب حب الاستطلاع على غيرهم فمالوا الى رؤيتهم لتحقيق مايقال فيهم ، فأتوهم زائرين فاجتمع بذلك من حول المركيزة درميل وبناتها عصابة من الشبان والفتيات الحسان ، فبالغن في مؤانستهم واكرامهم ، واقمن لهم المراقص والاحتفالات ، فاقبل الناس عليهم ازواجا وافرادا ، وصار قصر

سرفيل مجلس الذوق وملتقى اخوان الانس والصفاء فاغتفر الناس لاهله غرابة احوالهم في جنب ماجلبوه لهم من السرور والهناء

الفصل الثانى

اشراك الجمال

لم يكن بين قصر دره لى وقصر سرفيل غير ميلين ، فلما استقر المقام بالباريسيات وفدن على قصر مره لى زائرات مسلمات ، وكان فكتور وزوجته غائبين عن المنزل ، فاستقبلهن الوالدان الشيخان بما ينبغي لمقامهن من القبول والاكرام . ثم حان وقت رد هذه الزيارة فاهتم اهل مره لى بذلك غاية الاهتمام ، واجتمعوا للمشاورة فى الامر فقال فكتور

ـ لابد من طلب ثوب جديد من المدينة لماري فان اثوابها قديمة الزى لاتصلح لزيارة مثل هؤلاء القوم

فقالت مارى

ـ لاحاجة بى الى ذلك فان ثوب اكليلى الابيض لم يلبس غير مرتين فاذ لبسته وجعلت على رأسى عصابة مكللة بالزهر الغض ذكت كما يحسن ان اكون

ثم أشار مارة الي انها حامل لاتقوى على ضنك اللباس الجديد ،

وقال الكونت دى لار والكفاليير دي ملنو

ـ ان مارى مليحة علي كل حال وفى كل ثوب فلتفعل ما تشاء

فصمت فكتور مغالبا نفسه فى قبول هذا الرأي ، وبقيت المذاكرة عند هذا الحد

وبينا اهل مره لى يتهيأون لزيارة أهل سرفيل ، اذ جاءهم من هؤلاء رسالة دعوه اليه، فلم يبق لهم من سبيل الى تأخير الزيارة فلبست مارى ثوب الاكليل وتزينت ما استطاعت ، ولكنها لم تكن منشرحة الصدر ، وانها كانت تجد من نفسها انقباضا عن معاشرة مثل هؤلاء الاقوام الباريسيين

ثم سار الاربعة فكتور وماري ووالداها على عربة من اللاّ ، يراها اهل القرى بعين الاستحسان، ولا نصادف عند الباريسيين وامثالهم غير الاستهجان ، فلما وصلت بهم العربة الى مدخل قصر سرفيل ، ورأتها فتياته الثلاث تبسمن استهزاء بها ، اواستخفافا باصحابها ، ثم دخل الجماعة القصر وكانت اثواب الرجال منهم ، اى بدلات الشيخين وفكتور مجعدة ظاهرة الطيات ، لانها كانت محفوظة فى الخزائن من يوم العرس ، واما ثوب ماري الابيض فانه كان بعيداً جداً عن الزي الجديد ، ولما وصلوا الي القاعة نظرت الفتيات الى ماري، ثم نظرن الى فكتور فاكبرن حسنه وجماله ،

وقلن متلهفات

ـ ما اضيع هذا الجمال

واحست ماري بانحطاطها عنهن وبعدها عما رأت بهن من الرشاقة وحسن الزي ، شأن النبيه الزكي فلاذت باطراف الصمت فلم تنطق بكلمة ولم تبد اشارة ، وظهر لفيكتور ذلك فاخذته عزة النفس ، ورأى ان المقام ضنك عليه وعلي زوجته ، غير انه تجلد مخافة الهوان ، واستعمل ما فيه من النباهة والذكاء في اجتناب الاستهجان ، فأعانه جماله على ما اراد ، وعليه فقد ارتفعت منزلته عند الفتيات ارتفاعا عظيما ، وصح عندهن بعد انقضاء الزيارة فيما حكموا به على اهل قصر مره لى ، وهذه صورة الحكم

ان الشيخين محو مطلق (اى لا شيء) وان مارى غبية بلهاء ، واما فكتور فلو انفصل عن هذه الجماعة وتخرج بآداب الاجتماع ولبس من تفصيل المسيوبلين (اشهر خياط في ذلك العصر) لكان من احسن رجال الفرنسيس واحقهم بحب الغانيات

ولما عاد اهل مرهلي الى قصرهم تذاكر الشيخان فيما رأياه وما سمعاه من اهل سرفيل ، اما فكتور ومارى فكانا مفكرين صامتين يسمعان ولا يجيبان ، حتى جاء وقت الرقاد وهم كل منهم بالانصراف الى غرفته ، فقالت مارى لزوجها

ـ لست بذاهبة بعد هذه المرة الى مجتمعات الناس

ـ لك الخيار فى ذلك فافعلى ياصديقتى ماتريدين

وظهرت علائم الوحشة علي فكتور بعد زيارته لاهل سرفيل واشتد به الميل الىالانفراد والتغيب من المنزل ، حتى قلقتمارى لذلك وألم بها الغم ، فكانت كلما غاب زوجها وادركه المساء قبل الرجوع ، تقف بانتظاره فى طرف حديقة القصر عندشبكة البركة

ففى ذات ليلة بينما كانت واقفة بانتظاره كعادتها ، اذ طرق سمعها صوت جوافر خيل على الطريق ، فاخرجها ذلك من عالم الذهول الذى كانت فيه ، فرأت الجو قد حجبت نجومه سحائب سوداء ، واخذ المطر يتدفق كأفواه القرب ، وقد هبت العاصفة وجلجلت اصوات الرعود القاصفة ، ولمع البرق بالفضاء يخطف الابصار ، واذ ذاك سمعت حركة حوافر الخيل تقترب نحو القصر فعلمت انهم يقصدون الالتجاء الى قصرهم هربا من العاصفة ، فارسلت ببصرها تتبين صفاتهم فوجدت سيدة ورجل ومن ورائهما خادم ، وكانت السيدة فتاة فائقة الجمال منتصبة على صهوة جوادها كأفرس الرجال ، وقد رأتها تلك الفتاة فدنت منها وهى تقول

ـ عفوا يا سيدتى من وفودنا فجأة عليك فانا تائهون فى هذه

وبين هذه الغابات وقد ادركنا المطر واشتدت الانواء علينا فهل في هذه الارض من مبيت نلوذ به من العاصفة؟

ـ انتم عند قصر مره لى وانا صاحبته فان شئتم اتباعى اليه وجدتم الملاذ الامين وكنت لكم من الشاكرين

فأثنت السيدة والرجل عليها ثناء جميلا ثم قالت السيدة

ـ ان المقام ياعزيزتى لايحتمل الكلفة فها انا اعرفك بنفسى فانى ابنة المركيزة درميل التى تشرفت برؤيتك في منزلها فى الاسبوع الماضى وهذا زوجى المركيز دي فلورين وهو لاشك مسرور بما سرني من سنوح هذه الفرصة للاتتناس بلقائك

فانحنت مارى لها شكرا علي كلامها ، وسارت امام الضيفين فى طريق القصر ، وعادت المركيزة فلورين الى حديثها فقالت

ـ أتيت، هذا البلد امس فرأيت من بهجة منظره ماحبب الى التجول في غاباته فاصابني مارأيته علينا من التيه

وما برحوا سائرين بين صفوف الاشجار الملتفة ، والرعد يهزم والمطر يهمم وماري قلقة مضطربة على زوجها ، تلتفت المرة بعد المرة لعلها تراه مقبلا ولاتعير السمع الى حديث المركيزة فلورين الا قليلا ، ثم خافت ان تحسب ذلك منها اعراضا او كراهية

للضيافة فقالت لها

ـ لا تؤاخذيني ياسيدتي فاني مترقبة رجوع المسيو ديلار (تعني زوجها) من الصيد فقد مضى ميعاده واخاف ان يدركه المطر ويظلم عليه الليل وهو بعيداً عن هذه الجهة ولذلك تريني كثيرة القلق والانزعاج

ثم اشتدت العاصفة وهمى الغيث وابلا حتى نفذ الماء من ثوب ماري وثوب ضيفتها الحسناء ، ولم تصلا الى القصر الا وقد ثقل الثوبان بالماء ، وكان الليل قد هجم بجيوش الظلام ، وبما ان من حق الضيافة على ماري ان تعير ضيفتها ثوبا تلبسه الى ان يجف ثوبها المبلول ، فلذلك سارت بها الى غرفة النوم وتركت المركيز فلورين لدي حميها يعتني بشأنه ، هذا وقد لمع البرق دراكا وتلاه الرعود والصواعق وانصب البرد كالحجارة وثارت العواصف ، فزلزلت القصر من اساسه حتى كأن عناصر الطبيعة قد هجمت عليه لتدكه دكا . فاشتد القلق بماري من جراء غياب فكتور ، فكانت تصلح شأن ضيفتها وهي كالآلة الصماء لا تنطق ببنت شفة ، وغلب الخوف على الضيفة ايضا فالتزمت السكوت وجلا ، ثم طال عليها الصمت فقالت

ـ أرى أن الانسان يشعر بالحاجة الى الصلاة والدعاء لله في مثل هذه الاوقات فما قولك في ذلك يا سيدتي ؟

ـ ان رمت الصلاة فهلى ندخل الكنيسة قبل الذهاب الي القاعة

وكانت كنيسة القصر علي ما تركها الرهبان قديمة رهيبة خالية عن بهارج الزينة ، وفى صدرها تمثال ملكين كبيرين ناشرين علي الهيكل المقدس لواء ، من تحت نافذة حمراء الزجاج وليس فيها من الضوء غير قنديل ضعيف ، يرمي كبد الدجى بسهام دقيقة صفراء من الشعاع ، فكانت لذلك مهيبة بل مخوفة للمتأملين . فخرت المرأتان ساجدتين وجلا ، وكان خوف مارى على زوجها اكثر منه على نفسها

وبينما هما على تلك الحال اذ فاجأهما برق خاطف ، وتلاه رعد قاصف فانخلع قلباهما خوفا ، وصاحت المركيزة فلورين صيحة شديدة ووقفت مذعورة فاقدة الرشد ، وحينئذ فتح الباب ودخل منه فيكتور ، وللحال التقى ناظره بناظر المركيزة الحسناء ، فاندهش من مجلي هذا الحسن العجيب ، حتى خيل له ابتداء ان ملكا كريما نزل من السماء الى ذلك المكان . ثم نهضت مارى فرحة مسرورة برؤية زوجها سالما ، وتقدمت اليه وهي تكرر آيات الحمد لله ، وعلى اثرها المركيزة الحسناء فعرفتها بفكتور على ماجرت به العادة ، فاحس الفتى بالرهبة لاول مرة من حياته ، فاذ لحظ المركيزة

قد فعل فيه مايفعل السحر، فشعر من نفسه بالفرح والاضطراب معا ، اما هي فلم تكن قادرة على تحقيق اتصالات نفسها في تلك الحالة ، بل كان كل مالديها عجيبا غريبا بالنظر اليها ، فان سذاجة ذلك المقام وخلوه عما تعودت رؤيته من الزخرف والزينة وتلك المرأة الصافية النية الكثيرة الحياء ، وهذا الرجل البارع الحسن الظاهر الخجل الغريب الزى ، كل ذلك حصل منه في مخيلتها صورة عجيبة غير معينة ، واورثها انشغالا من حيث لاتدرى ، فالتزمت الصمت حتى افتتح فكتور الحديث فقال

ـ كنت افتش عليكما ياسيدتى فقد اعد الطعام وجئت لاتشرف بصحبة ضيفتنا الى المائدة

وتناول يدها من غيران تجيبه بشيء ، فتوكأت عليه وانطلق بها وسارت ماري على اثرهما حتى بلغوا القاعة ورأوا بقية الجماعة ، فحيوهم التحية المألوفة وهدأ سر المركيزة الحسناء ، فعادت اليها سرعة الخاطر وهزتها الرقة فقالت مخاطبة الجميع

ـ لله منزلكم ما ابهجه وابهاه انه في غاية الرونق والحسن وان كان مخيفا ولا سيما في اوقات الانواء

فاجابها الكونت ديلار والد فكتور متلطفا

ـ صدقت ياسيدتي غير اننا قد الفنا هياج الانواء فلسنا

تخافها لان من تعود الشيء لم يبال به اما المنزل فلا شك انه لم يتزين كما كان ينبغي لاستقبال ضيوف كرام مثلكم فقد كان الواجب عليه ان يتلقاكم مكللا بالازهار مطوقا بقلائد الانوار

ـ ان منزلكم غني عن الزينة بما فيه من المحاسن وكأني منه في قصر شائق مما يتخيل الشعراء واصحاب القصص في حكاياتهم

ـ نحن ياسيدتي لا نقرأ القصص والحكايات لانا نخاف هواجس الافكار

ـ ماهو ذلك اللواء الذي يحمله الملكان من فوق هيكل الكنيسة ؟

ـ علم منقوش عليه « ايها الانسان هوذا قاضيك »

ـ هذا يحمل على الظن بان الرهبان الذين كانوا هنا من قبلكم قد ارتكبوا كثيرا من الآثام حتى عظم خوفهم من قضاء الله سبحانه وتعالى

ـ بل الاجمل ياسيدتي المركيزة ان يظن انهم خافوا كثيرا من ارتكاب الاثم

وفي خلال هذه المحاورة سكن الهواء وهدأت الانواء واوشك الجو ان يصفو ، فرام الضيفان ان يعودا الى منزلهما فقال لهما الكونت

ـ اني اخاف على المركيزة من صعوبة الطريق ومشقة السير فلو بقيتما عندنا الي الغد لكان ذلك اولى فانا بوجودكم سعداء

فقالت المركيزة

ـ لك الف شكر ياسيدى الكونت ولكني اخشى على والدتي من القلق واشتغال البال فانها لن تطمئن نفسا حتي تراني ولن يسكن روعها اذا ارسلت لها رسالة او رسولا ولذلك لا بد لي من الرجوع الى المنزل وان طاب لنا ههنا المقام فان رمتم اتمام الجميل اسعفونا بدليل يرشدنا الي الطريق فانا غرباء لا نأمن التية

فقال فيكتور مترددا متهيبا وجلا

ـ ان شئت ياسيدتي كنت ذلك الدليل

ـ لقد تلطفت وتفضلت ولكن يسؤني ان ازعجك فى مثل هذه الساعة وادع السيدة ديلار فى قلق وبلبال فيكفني واحد من خدمكم للقيام بهذه المهمة

ـ اني اعرف الناس بمسالك هذه الناحية وقد الفت التنزه ليلا فلا انزعج منه اما زوجتي فلا تقلق ولا تخاف على

ـ ان كان الامر كذلك فلا بأس وانا نكون معك امن منا مع سواك فلم يبق الان الا ان استعيد ثوبي لنسير بصحبتك ،

مر هذا الحديث كله على مسمع من ماري وهي صامتة

لاتخرج عن حد مايجب [على ربة المنزل فى هذه الحال ، ولاتزيد على الايماء او الاشارة [بما يناسب قول زوجها مما يفيد الرضى والقبول ، ثم صحبت المركيزة الى غرفتها لاعانتها على ارتداء ثوبها وهي على حالها من السكوت والاحتشام ، ولكن تحت طى ذلك ضرب من الجزع والنفور ، تشعر به وتغالب نفسها عليه ، فانها رأت المركيزة على حالة ممتازة لم ترها من قبل ، وتأملت ماهى عليه من الرشاقة وما تعنى به من صغار امور الزينة التى لاتخطر لها ببال ، فقابلت بين نفسها وهذه المركيزة الحسناء ذات البهجة والرواء ، فتولاها الخجل والاسف . ثم قطعت المركيزة حبل ذلك السكوت وقالت بصفة التحبب الى ماري

ـ هل لك من ولد ياسيدتى

ـ رزقت ولدين وانا حامل بالثالث

ـ أتم الله نعمته عليك اما انا فالغالب اني لا ارزق ولدا

وتنهدت اثر ذلك تنهد الآسف الآيس فاجابتها مارى

ـ لاتقنطى ياسيدتى من رحمة الله فانت صبية والله كريم منان

وكان فى هذا المقال من التوكل والايمان ، وعلى محيا ماري من سيماء الطهر وصفاء النية ماأثر فى طبيعة المركيزة فقالت

ـ ما احسن هذا التوكل وما اسعد هذه الحال

ثم جاء الخادم يخبر المركيزة انه قد استكمل الاهبة وشد على الخيل ، فخرجت من الغرفة وودعت اهل المنزل فتلطفة مبالغة في الشكر ، ثم امتطت صهوة الجواد وراضته قليلا حول الدرابزين على رغم الظلام ، ثم اطلقته يجرى خببا وسار على اثرها زوجها وفكتور ، فلما غابت عن الابصار ، قال الكفالبير والد ماري

ـ لو كنت فى سن العشرين لفتنت بهذه الحسناء

اجابه الكونت والد فكتور

ـ لا بدع ان فتنت كثيرا من الناس

فقالت مارى

ـ وما فائدتها من افتتان الناس بها وهى محصنة ذات بعل

فتغامز الشيخان وابتسما متعجبين من سلامة نية مارى وصفاء سريرتها ، ثم عادا الى القاعة يعيدان من لعب النرد ما قطعه عليهما قدوم الزائرين، وكل امرىء مشغول بشأن نفسه وما يميل اليه

الفصل الثالث

سهم الغرام

انصرفت ماري الى غرفة طفليها ولبثت هناك ترعاهما حتى اخذهما الرقاد ، فعادت الى القاعة والشيخان فيها لا يزالان يلعبان النرد ، فجلست على مقربة منهما متلهية بالزركشة عن خطرات البال ، ولكنها لم تستطيع قرارا بل كانت تنهض المرة بعد المرة الى الشباك وتنظر الى السماء ، فترى بقايا الغيوم مبددة فى فضاء الافق وفضالات البروق متكسرة على صفحات الجو ، وتنظر الى الارض فتبصر الماء والوحول مما تخلف عن السيول،فتشعر بخوف يتسرب الى فؤادها وتطير نفسها شعاعا وينخلع قلبها ارتياعا ،دون ان تعلم لذلك سببا فتدعو الله فى سرها ان يذهب عنها هذا القلق ، ويعيد زوجها بالسلامة . دقت الساعة دقاتها العشر ولم يعد فكتور، فغلب عليها الاضطراب وتولاها الاكتئاب ، فقالت لوالدها

ـ لم يعد بعد فكتور يا ابتاه

ـ لا تجزعي يابنية فلعله اختار ان يبيت فى سرفيل

وقال الكونت والد فكتور

ـ لو كنت فى سنه لفعلت ذلك لا محالة

- ولم ياسيدى ؟

فضحك الشيخان عند سماعهما هذا السؤال من ماري ، فنفرت من ضحكهما واعادت سؤالها ملحة فى طلب الجواب فقال الكونت

- تسألين عم يدعو فكتور الى ان يبيت فى قصر سرفيل ؟ فاعلمي ان هناك نساء حسانا يسألنه ذلك لامحالة ولا يهون علي الفتى مخالفة امر الحسان

فاصابها سهم حاد من ذلك الجواب جرح فؤادها ، لانه لم يخالج فكرها من قبل ان فى الدنيا امرأة غيرها يرتاح فكتور الى معاشرتها ، ولم تكن تعرف الغيرة ولا العادة الفاسدة التى تجيز للرجال على وجه ما خيانة نسائهم فعظم تأثير هذا الجواب فيها، غير انه كان لحسن حظها سريع الزوال ، فان فكتور لم يبت فى قصر سرفيل بل عاد الى المنزل فى تلك الساعة فسكن جأش مارى ولكن لم تزل فى نفسها بعض آثار للانفعال . اما هو فلم يلبث فى القاعة الا قليلا ثم طلب الانصراف معتذرا بما ناله من التعب والمشقة فى يومه ، ودخل غرفته دون ان يمر بغرفة زوجته خلافا لما جرت به عادته ، فايقنت ماري للحال بفتور محبته

ولما كان الغد وحان ميعاد الافطار ، اجتمع آل البيت على المائدة فانبأهم فكتور بعزمه على السفر الى مدينة بواتو ، فقالت

ماري بانكسار

ـ لعلك تروم السفر لشأن يدعوك ؟

ـ نعم

قال هذه الكلمة المقتضبة وحول وجهه عنها لكيلا يقع نظرها عليه فتلمح علامة الارتباك فيه فقال له والده

ـ ومتى تعود يابني ؟

ـ بعد ثلاثة ايام

فشق ذلك على ماري ولم تتمالك ان صاحت مستفهمة مستنكرة

ـ ثلاثة ايام ؟ !

ـ نعم وما موجب العجب والاستنكار ؟

فاثر هذا الجواب في نفس ماري تأثيرا شديدا فبكت وقالت

ـ اه يافيكتور انا لم نمتحن بعد بمثل هذا الفراق

ثم ضجت بالبكاء والقت بنفسها علي زوجها ، فتلقاها وضمها متأثراً مما ألم بها من الغم ، ثم رام تطييب خاطرها فقال

ـ ان كنت لا تصبرين على فراق فلست براحل عنك ياحبيبتي

ـ احق ماتقول ؟

ـ انه الحق بدون ريب

فقال الكونت ديلار

ـ ان كان في مصلحة ذات فائدة فلا ينبغي العدول عنه يابني

ـ نعم فقد انبأني وكيلنا بالمدينة ان بعض الناس طلب منه مقدارا من المال على سبيل القرض فرأيت من المصلحة ان اسير بنفسي لانظر فى الامر وافعل مايقتضى فعله

ـ ان كان الامر كذلك فلا ينبغى ان تمنعي زوجك من السفر وتعارضيه فى قضاء مايجب عليه فانت ام اولاد صغار مسؤولة عنهم فى الحال والاستقبال فلا تذهلي عن ذلك ولا تميلي مع هو النفس

فاجابت وهى اسفة كاسفة البال

ـ صدق والدك يافكتور فلا بد من ذهابك الى المدينة

ـ وهل تغالبين الاسى وتتجلدين ؟

ـ نعم اتجلد ما استطعت

ـ اذن اسافر بعد الطعام شاكرا لك هذا القبول وستعلمين انى لست باقل منك رغبة فى قرب اللقاء

وسار فكتور بعد ذلك مخلفا عند زوجته وحشة الفراق، وكان قد حدث منذ الامس في ذلك البيت ما غير حالة اهله تغييرا سيئا ، اذ ووجد فى نفس كل منهم شيء يخفيه وسر يكتمه عن الباقين ، ثم ان ذلك السر كان خفيفا غير ذى بال ، ولكن اول

خاطر يكتمه المرء عن ذويه ، يكون كالحبة التى تدفن فى الارض فتنبت وتنمو ، ثم تصير شجرة ذات فروع وجرا ثيم ، فلو كشف اهل هذا البيت اسرارهم وازالوا احجب الكتمان عن انفسهم في اول الامر ،لامكن رجوع الهناء والانس اليهم ،ولكنهم كتموا خواطرهم وحجبوا سرائرهم فتفرقوا مبتئسين مفكرين فلم يعاودهم الصفاء ، ووقفت ماري تنظر الى المربة حتي غابت عن انظارها ، فرجعت الى غرفة اطفالها منكسرة القلب حزينة الفؤاد

استولت الكآبة على اهل مرملى فى غياب فكتور ، فانقطعت ماري عن الغناء وهي تشتغل ، وامتنعت عن مداعبة طفلها في المرج الاخضر علي بساط النبات النضر كما جرت به عادتها ، بل كانت تطوف دهاليز القصر مكتئبة حزينة ، وتقتل اكثر اوقاتها في كنيسة القصر تصلى داعية الى الله ان يرد اليها زوجها ، وقد الح عليها والدها وحموها بالذهاب الى قصر سرفيل لزيارة الباريسيات، فتأبى الا ان يعود فكتور فتسير معه

ثم عاد فكتور ومن خلفه فى المربة صندوق فيه اثواب جديدة وادوات زينة للرجال لم يكن يبالى بها من قبل ، فلما وقع نظر ماري علي الصندوق وعلمت بما فيه ، سالت زوجها عن السبب الذى دعاه الى شراء تلك الاثواب فقال

– اني اخجل من جير اننا ان ازورهم بثوبي القديم فاكون فيه كالرجل الباقي من عهد الطوفان وقد علمت انهم يستهزؤن بي من اجل ذلك ولست اريد ان يستهزىء بي احد من الناس

فلم تجبه ماري ولكنها لم تقتنع بما قال ، فبقي في نفسها شيء من سوء الظن ، فلما اصبحت ورأته بلباس غرفة النوم الجديد معتدل القوام صبيحا متأنقا ، لم تعجب به كما تعودت بل داخلها الظن بانه لم يتأنق في ملبسه ليحسن في عينها ، وانما تكلف ذلك لشيء جديد في نفسه لم تحط به علما

ثم جاء وقت الغداء واجتمع اهل القصر على المائدة ، فتجاذبوا اطراف الحديث الي ان ساقهم الكونت ديلار الى الحديث عن جيرانهم سكان قصر سرفيل ، وزعم ان لم يبق مانع من زيارتهم بل انها وجبت فلا ينبغي تأخيرها الى مابعد الغد ، فالتمست ماري ان تتخلف عن صحبتهم بهذه الزيارة ، بدعوى انها منحرفة المزاج ، فأبى فكتور ووالده الا ان تسير معهم وما زالا بها حتى اجابت

ولما اتي الوقت المعين للزيارة خرج اهل القصر الى موقف العربة ، فكان في اختلاف مناظرهم من اغرب مارأته العين ، فان الشيخين كانا بزيهما القديم كأنهما من بقايا امة قد خلت ، وماري

على حالها من السذاجة التي تلازم نساء القرى ، وتجعلهن مغمزا للمدنيات ولو كن حسانا ، اما فكتور فان ثوبه الجديد لم يكن منطبقا عليه تمام الانطباق، ولكن اعتداله الطبيعي كان ساترا لهذا العيب ، فلم تذهب جدة الثوب برونق بهائه وحسن روائه ، ولكن ظهر فيه انه في احتياج لبعض الحركات والعادات المدنية ليكون رشيقا

ولما وصل القوم الى سرفيل تلقاهم اهل القصر بكل لطف وايناس ، خصوصا المركيزة درميل الوالدة ، والمركيزة فلوروين مركيزتنا الحسناء وهي لابسة فستانا من الحرير الهندي والمزين بالشريط الوردي والدانتيلا البيضاء ترفل فيه بلا كلفة كمن اعتاد ابهة الرونق والزينة ويداها الجميلتان مستورتين بقفاز اصفر وشعرها اللامع الاسود كجناح الغراب مسترسلا على كتفيها غير معقوص ولا مضفور وكان على صدرها من الجواهر الكريمة مايروق للعين حسنا وعليها من اثار الذوق والكياسة الباريسية مالا يوصف بلسان

فكان فكتور ينظر اليها نظر الحائر المندهل وهي تتصباه غير عامدة بما تظهره من الرشاقة وما تبديه من حركات الدلال فتارة تفتح حنجور العطر فتشمه وطورا تنزع القفاز الاصفر عن

يدها الرشيقة فيظهر بياض انا ملها تحت سواد خاتم من الميناء ، حتي زاد افتتان فكتور فيها ، واشتدت منها غيرة ماري واحست بانحطاطها عن هذه المليحة الحسناء ، فنالها من ذلك الم عظيم وعقدت نيتها علي ان تلزم البيت من بعد هذه الزيارة ، [illegible] للغبن فى الموازنة بينها وبين تلك المركيزة الحسناء ، ثم بذلت مجهودها فى تقصير الزيارة حتي خف قومها للانصراف ولما خلت بهم فى العربة غلب الكمد عليها فبكت بكاء مرا فاثر بكاؤها فى نفس فكتور فصاح

ـ مابالك تبكين . ماذا اصابك ؟

ـ لاشيء ان الحر قد اشتد علي فاورثنى صداعا اليما عدمت به الجلد . لاجرم انى غير صالحة لمعاشرة الناس فلن احضر بعد هذه المرة مجلس اجتماع

فقال الكونت ديلار

ـ نعم انى رأيتك فى منزلنا بعره لى اسعد منك الان واهنأ ولكنك مخطئة فيما عزمت عليه فانت فى ريعان الشباب ولا تليق وحشة العزلة بهذا العمر ثم انك ام ولدين صغيرين فان لم تخرجي من المنزل ولم تدخلي مجالس الناس فمن ذا الذى يتولى تهذيب اولادك كما يقتضيه ادب الاجتماع

ـ فكتور يفعل ذلك ويحضر المجالس عني

فقال فكتور

ـ لا . لست ارضي بهذا لست ارضي

فعاودها البكاء وقالت

ـ سوف نرى

ومرت بهم بعد ذلك عدة ايام وهم بحسب الظاهر علي سابق حالهم من الراحة والسكينة ، وفكتور يخرج كل يوم للتنزه ويعود قبل المساء فيكب علي قراءة بعض الكتب ولا ينظر الى شيء آخر مما بين يديه . اماماري فكانت اشد تفكيرا واعظم قلقا واضطرابا من ذي قبل تتأمل فى احوال زوجها وترقب اعماله الغريبة فيحصل فى وهمها من التصورات وفي نفسها من الانفعالات مالم تشعر بمثله وكان الحب دليلها فى سبيل الاعتبار والاختبار فعلمت ان فكتور قدمسه الضجر وتولاه الملل فصار من همها ان تسليه وتواليه

الفصل الرابع

بين اطلال مرلوزين

بينما كان اهل مره لى ذات ليلة جلوس على المائدة اذ جاءتهم رسالة من قصر سرفيل تدعوهم فيها المركيزة درميل الى ليلة انس ورقص تمثل فيها بعض الروايات ثم تكون مأدبة شائقة تحت سرادقات ستقام لهذا الغرض . وكان اهتمام اهل سرفيل باعداد اسباب الحسن والبهجة لتلك الليلة الموعودة قد اشتهر بين اهل الناحية حتى صار موضوع احاديثهم وسمرهم ليلا ونهارا وعليه قال الكونت ديلار

ـ ان الخياطات فى هذه الناحية لا يعرفن بالازياء الحديثة فينبغي ان نكتب الى باريس بطلب ثوب جديد لمارى فانى اريد ان تكون مثل المركيزة فلورين حسنا ورواء

فقالت مارى

ـ لاحاجة بى الى ذلك لانى لست بذاهبة الى سرفيل

فقال فكتور

ـ وكيف ذلك؟

ـ انى مثقلة بالحمل فلا استطيع الذهاب ولا يمكنى تحمل

ضيق الثوب ذي الزي الجديد فاذهب انت وحدثنا بما تراه هناك من اسباب اللهو والسرور

فالح فكتور والشيخان عليها فى العدول عن هذا العزم فصرفت الحديث الى المزاح ولم تتحول عن عزمها وكان الضجر مستحوذا على فكتور فاتخذ عناد زوجته وسيلة لاظهار الكدر فنهض وهو يقول

ـ افعلي ماتشائين

وتناول بندقيته وخرج من المنزل متوجها نحو بروغ متنزها بين المروج والآثار القديمة وكانت ناحية بواتو الى ذلك العهد لاتزال تحتوي على اطلال بالية ورسوم منازل عافية منها ماهو باق من عهد الرومانيين ومنها ولعله الاكثر من بقايا الاعصر المتوسطة وسكان هذه الناحية يتناقلون عن تلك الاطلال احاديث خرافية تدل على ان ذكرى بيت عائلة لوزينيان الشهيرة محفوظة عندهم ينقلها الابناء عن الآباء حتى كأن ذلك البيت لايزال فى عالم الوجود فهم يسمون كل طلل فى ناحيتهم (مرلوزين) نسبة الى امرأة من عائلة لوزينيان يحسبونها من الجن ، وهي فى الواقع زوجة (مل) و (لوزينيان) فركبوا في تسميتها الاسمين وقالوا (ملروزين) ثم حرفوا هذا الاسم المركب فصار (مرلوزين)

وسموا به جميع تلك الاطلال

وكان بالقرب من بروغ برج قديم منفرد من بقايا قصر عظيم كان في الحقيقة لمرلوزين المذكورة تصرف وقتا من العام فيه وتقيم سائر ايام العام بقصرها الكبير المعروف وذلك البرج عال حسن الموقع يطل منه على ماحوله من الارض ويري الجالس فيه اجراس كنائس كثيرة من قرى الناحية ويشرف على السواقي والقنايات المتفرقة المتفرعة من الجدول وما يليها من المروج والغابات

وكان فكتور كثيرا مايقصد هذه الجهة في منتزهاته فيهيم تحت قناطر القباب الخالية او يجلس على تلال تلك الجدران البالية فيذكر مجدها السابق وعزها القديم ففي هذا اليوم وصل فكتور الى ذلك المكان وهو اضيق منه صدرا في كل يوم فصعد الهضبة المؤدية الى البرج على مهل فسمع من فوقه صوت غناء فوقف واصاخ باذنيه يصغى اليه فعلم انه صوت امرأة غير قروية وذلك بما وجد فيه من حسن التلاحين التي يستلزم العلم الفنى مما لا يعرف الا في المدن الكبيرة وكان اللحن مشوقا يثير الاشجان فاثر في نفس فكتور حتى كاد يبكيه وما برح واقفا حتي انقطع الصوت عنه فمشي مفكرا فيه الى ان بلغ منحدر كالدرج ينتهى الى مدخل البرج وهنالك رفع عينيه فابصر على خطوات منه فتاة بثوب ابيض

وخمار من اللاذ ورد ادق مما تنسج العنكبوت يلسب الهواء باطرافه فتعلق بغصون الاشجار الصغيرة النابتة على جدران الاطلال وتلك الفتاة جالسة محدقة بالوادي هائمة الفكر فيه وبين يديها علب الوان ورقعة تصوير مما يدل على انها جلست هناك للتصوير ولما احست بحركة فكتور التفتت الى جهته فعلت وجهها حمرة الخجل ووثب على فكتور من تحت قدميها كلب نباح وكانت هذه الفتاة هي المركيزه الحسناء دي فلورين فاضطرب فكتور عند رؤيتها واصبح بين الخجل والوجل من ان يكون اورثها انزعاجا فاعتذر والتمس العفو فقالت

ـ اتيت على الرحب فاني جئت هذا المكان مستصحبة «تريم» رفيقا (مشيرة الى كلب) فنسيت نفسي وانا اتأمل في جمال هذا الوادي لاجرم ان يبدو لكم بلد نعيم وبهجة يحسن في مثله المقام

ـ ولكن بين سرفيل وهذه الاطلال غير قليل فكيف تجرأت

هذا الرفيق

ـ ما الشر وما الخوف من الشر ؟ . ايحسن بي توقع البلاء وحرمان النفس من لذة الحياة خوفا من امر مجهول وان اترك من اجله التنزه على انفراد وهو ابهج مالدى . انى احب الحادثات والغرائب فاذا اتيت مكانا فدأبي ان اجوس خلاله وألم بكل بقعة منه فاسير متنزهة فيه متسلحة بعلبة الالوان ودفتر التصوير كما ترى لا اخبر احدا ولا استصحب رفيقا رغبة فى العزلة والحرية وفرارا من الكلفة الملقاة على عاتقنا نحن النساء بحكم العادات وهربا من ضيق الصدر فى متسع القاعات فهنيئا للرجال انهم سعداء بالحرية والاستقلال

تعجب فكتور من هذا الكلام غاية العجب ، لانه لم يعرف فى المرأة الا باعتبار انها خلق ضعيف محتاج الى الهداية فى سبيل الحياة فلم يتصور امكان ظهورها بشيء من الاستقلال والحرية واقدامها على تذليل العقبات الحائلة بين فكرها وتجليات الذكاء وجملة القول انه لم يكن يعرف من النساء غير قعائد البيوت فلما سمع كلام المركيزة عرف فيها المرأة الجانحة الى الحرية والاستقلال فغلبت عليه الحيرة والدهشة فقال بعد الصمت

ـ كيف . كيف لا تخافين ؟

ـ وبم اخاف . امن حية تلسعني كما انذرت ؟ . اتحسين حريصة على هذه الحياة التي حظر علينا بها نحن النساء الضعيفات ان نعيش كما نريد ؟ . لالعمري فهي حياة غير جديرة بالحفظ فان ضاعت فلا اسف عليها

فازداد فكتور حيرة فى أمر هذه الفتاة كيف ينالها الملال من الحياة ، وكيف لاترهب الموت وهي فى ريعان الشباب ونضارة الحسن وتمام النعمة ، فتساءل عما تحتاج اليه فى نيل السعادة وعن سر شوقها الى الاستقلال ، وما الذى تفعل ان حصلت عليه ؟ ، فكانت هذه المسائل كلها اسرار غامضة عنه ، فاتسع بها مجال التصور لديه ولم يكن علم المركيزة باحوال فكتور كافيا فى بيان ماأثر فى نفسه من كلامها على انها شعرت بوجود انفعال غير معهود فى حاساته ، فمالت الى استطلاع البعض مما يجول في خاطره ولكنها لم تجرأ على ذلك فالتزمت واياه السكوت ولما هدأت ثورة نفسها قالت

ـ لعلنا نراك ومدام ديلار فى سرفيل يوم تمثيل الرواية ؟

ـ أما انا فلست اتأخر عن هذه المسرة واما زوجتي فهي متعلة متألمة فلا تستطيع الفوز باغتنام هذه الفرصة السارة

ـ انى اراحم دووي فى التمثيل منفردة . فهل تعرف الروايات

التي سنمثلها

ـ ماحضرت الى الآن تمثيل رواية ولا قرأت من الروايات الا منظومات ادبائنا المشهورين

ـ ياللعجب كيف لم تر تمثيل رواية الى الآن ؟

ـ وكيف يتيسر لي ذلك وانا لم اتجوز حدود هذا الوادي ؟

فحدقت المركيزة بفكتور تحديق المستغرب لما بين يديه ، فانها لم تكن رأت من قبله رجلا من طبقته يجهل كل شيء لم يره مدونا في الكتب ، وهو على ماهو عليه من الجمال الباهر والذكاء الظاهر ، ثم ادركت بفراستها ان سجاياه الفطرية الفائقة لو اخرجت من مضيق ذلك الوادي ، لاثمرت خيرا وصارت بعد حين من محاسن الوجود ، فاجمعت فكرها على الرغبة في استقدامه الي باريس فقالت

ـ ينبغي ان تحضر الى باريس

ـ اريد ذلك ولكن ليس باستطاعتي الاقدام عليه

ـ وما السبب ؟

ـ عفوا انى لا استطيع الجواب

ـ بات الامر

فاحمر وجه فكتور خجلا مما قاله وخاف ان يكون بدا

الادب فى امتناعه عن الجواب، اما هى فتلاهت عن ذلك وقالت

- لابد ان يكون لهذه الاطلال قصة غريبة

- ان لها قصصا كثيرة ولكن لايجدر بالذكر غير واحدة منها

- أتريد ان تقصها على

- اخاف ان لا احسن الحكاية ومع ذلك اقول امتثالا للامر

قد سمعت لاشك بحديث الجنية ملوزين اميرة لوزنيان الشهيرة التي كانت تمتلك الجانب المعظم من هذه البلاد . فتلك الاميرة كانت تسكن هذا البرج وههنا حل بها المصاب الذى مابرحت تبكي وتنوح من جرائه منذ خمسمائة عام اوستمائة كما يزعمون وكان لها خلوة فى احدي هذه القباب التى تلوح لنا تحت هذه الهضبة تنعكف فيها علي اعمال السحر في كل يوم من منتصف الليل الى الصباح محتجبة عن الابصار علما منها بان لو رآها احد من الناس على تلك الحال لفسد سحرها اوضاع . وكان لها عشيق تهواه ويروم ان يتزوجها وكان العهد بينهما ان يتركها وشأنها بعد منتصف الليل ولا يسأل عن غيابها فثبت المعشوق على هذا العهد مغالبا النفس حتى حركه الفضول في احدى الليالي فتبع الاميرة من غير ان تشعر به ورأى [illegible] في الخلوة [illegible] في احوال [illegible] لناظريه فاغمي [illegible] ذابت عليه

واعادته الى رشده واعانته على الرجوع الى المنزل ولما عاد الى تمام وعيه صد عن الاميرة وعاب عليها اعمال السحر فايقنت بوقوفه على سرها فاضطرت للابتعاد عنه وعليه امرته بالخروج ففعل راضيا وابتعد عنها مختارا ولكنه لم يلبث ان برح به الشوق لرؤيتها فندم على ماوقع منه وارسل اليها يلتمس العفو والسماح فردته خائبا فتولاه اليأس والقنوط فاعتزل فى بعض الاديرة حتى مات وبلغها خبر موته وهي لم تكن تستطيع الموت فبكت عليه وملأت غابات هذه الناحية نواحا ومن ذلك الحين اشتهر صراخ ملوزين وكان صياحها انذارا بموت أحد من عائلة لوزنياز فلما انقرضت هذه العائلة صارت تنوح انذارا بمصائب الناس فاذا نزلت في البلد نازلة سمعت الفلاحين يقولون : لاعجب فقد سمعنا صياح ملوزين

ـ لقد اختارت هذه الاميرة لنفسها حياة شقية

ـ سيما وانهم يزعمون انها لاتزال حية وكيف كان الامر فهى لاشك حية الذكر

ـ ولكن كيف يقال انها كانت تحب وتعشق ولو صدقت فى دعوى الحب لضربت بعصا السحر وجه شيطانها ولم تترك من تهواه اذ ليس فى الارض ولا في الجحيم مايغنى عن الحب

قالت المركيزه هذه العبارة بلهجة تستعر بنار التلف ، ولكنها لم تلبث ان اخذها حياء النساء ، فعلت وجهها الزاهر حمرة الخجل ، وكان فكتور أشد منها استحياء ، ألا انه كان حائر الفكر تائه الاب يحسب نفسه فى حلم ، اذيرى تلك الحسناء مستولية على لبه تتصرف فيه كيف تشاء . ومالت الشمس الى الغروب وهما لاهيان ذاهلان عنها بما يتجاذبانه من أطراف الحديث ، والمركيزة تتوقد فى كلامها ذكاء وتلتهب حدة ، مقلبة أوجه الحديث متفننة في ضروبه وأساليبه ، وفكتور غارق فى لجة فصاحتها ومستهدف لسهام لحاظها ، بلا اختبار يحميه ولا اعتبار يقيه . ثم تنبهت المركيزة لانقضاء النهار فخفت للانصراف وقالت لفكتور

ـ قدر عليك أن تكون دليلى فى مسالك هذه الغابات وان أراك امامي كلما كنت محتاجة اليك حتى أصبحت عاجزة عن اداء حقك من الشكر والثناء فهل لك أن توصلنى الى منزلنا غير مأمور

فخف لذلك وانشرح وداخله السرور والفرح وقال

ـ لك الامر وعلى الشكر

وانحدرا من الهضبة حتي بلغا شاطيء الجدول الذى يتلاعب النسيم بمياهه والغصون تمايل على ضفافه فقالت المركيزة

ـ انني ظمآنة فانتظر قليلا لاشرب

ـ ان على بعد خطوات قليلة من هذا المكان عين ماء اصفى من هذا الجدول فان شئت سرنا اليها فتشربين منها سيما وانها من أبهج منتزهات البلدة

فاجابته الى ذلك فدخل بها بين ملتف من الاشجار أمام منحدر الهضبة ، وسارا حتى خرجا منها وبدت لهما العين تحت رقية متهدمة يتكسر الماء على أحجارها ، ومن حولها شجرات كبيرة من السنديان وارفة الظلال ، وهي رائقة صافية كالمرآة ، يتخللها النبات الاخضر كأنه ترصيع من الزمرد على صفحات الماس ، وعلى الارض مما يليها بساط سندسي زركشته يد الربيع بلآلىء الازهار ، فكان موقع العين وما حولها فتنة للابصار

فجلست المركيزة تشرب الماء بكفيها البيضاء ، وبعد ان ارتوت اعادت النظر الى العين ، ثم الى ما حولها في مجال الوادي وجماله وقالت

لله هذا المكان ما أبهجه وأبهاه ولقد وددت لو كانت لي هذه العين لأبني عندها قبة تحار في حسنها الانظار فهي أصلح مكان رأيته لهيام النفس في أودية السرور والخيال . فهل تعلم لمن هي؟

ـ خادمك يا سيدة هذا المكان بجهة قصرنا وهو مما ورثت والدتي ... [illegible]

ـ هل لك اذن ان تبيعني اياها ؟

ـ اقدمها هدية مني تذكاراً لهذه المقابلة وحسبي من العوض القبول

ـ لا . لست اريد الا الشراء وكفاني ان اكون ملكة في هذه المملكة الصغيرة فاحكم وامضي فيها وانظم وابنى كما أريد فبكم تبيعها مني ؟

ـ بصورة من رسم يدك

ـ قبلت مع العِلم انك مغبون ومن الغد ارسل الفعلة الى هذا المكان للبناء

ـ ونسميها عين التلاق

ـ أحسنت وأما الآن فقد ولي النهار واقبل الظلام فسر بي الى البيت

فاجاب ممتثلا وسارا صامتين والهوى يتكلم فى قلب فكتور بما لا يكاد يفهمه ، ولما وصلا الى أول طريق سرفيل شكرت المركيزة سعي فكتور ، واذنته بالفراق بعد ان وعدته على اللقاء فى الغد عند العين قائلة :

ـ وهنا لك اخبرك بما عزمت على انشائه في العين وما حولها والتمس رأيك فيه فان حقوق الجوار واجبة الرعاية

ثم ودعته وشردت عنه في طريق القصر شرود الغزال

الفصل الخامس

سلطان الغرام

وقف فكتور ناظرا اليها شاخصا بها حتى غابت عن بصره ، فحول وجهة سيره الى حيث كانت اولا حتى وصل اليه ولم يدر ، فمر به النسيم عليلا فعبث بشعره ورطب جبينه الملتهب ، فجلس حيث كانت جالسة يلتمس فهم مالم تصل اليه مداركه من انفعالات نفسه ، فيرى ان هناك جمالا فائق الوصف يجذبه نحو تلك المرأة التي لم ير مثلها في النساء الى ذلك الحين ولا يدرك لهذا الامر سرا ولا يجد له حدا ، حتى دخل الليل تماما فتنبه لوجوب الرجوع الى منزله ، فانقبض من ذلك صدره ايما انقباض

كانت ماري تنتظر عودته عند باب الحديقة وبين يديها طفلها ، فلما رأته اسرعت اليه تعانقه وتقبله بصفاء قلب لم يداخله ريب ، ثم تأملته فاذا هو مفكر منزعج ، فخافت ان يكون منحرف المزاج فاقبلت عليه تهتم بشأنه وتعنى بخدمته عن صدق واخلاص ، فلم ينفر منها

ولما دخل غرفتها التي هي مقدس شعائر الوالدية ، ومجلى فضائل الزوجية وجدها خالية عن الزينة والبهجة ، ثم نظر الى

زوجته فرأى بساطة زيها الذى لم يكن فيه من الحسن غير النظافة والطهر ، فتذكر لحال ماراه فى يومه من محاسن المركيزة . وكانت مارى تراقبه وهي صامتة وتحاول الوقوف علي سره فلا تستطيع ثم قدمت له طفليهما فقبلهما على الجبين قبلة تكلف ، فاعادتهما اليها مكتئبة وضمتهما الى صدرها انصافا مما رأته من ظلم ابيهما

لم ينم فكتور ليلته بل احياها هائما فى القصر ، فكان تارة يدخل الكنيسة للصلاة فلا يرى فيها غير صورة واحدة وهى صورة المركيزة الحسناء أليس ، وحينا يتمشى فى الحديقة تحت الاشجار يرجو تسكين مابه من تباريح الحمى برطوبة الهواء ، وما هي الا نار الغرام ذات الضرام

وما كاد يتنفس الصبح حتى خرج من القصر دون أن يشعر بخروجه أحد ، حتى أن والده لم يتمالك أن قال ، حين لم يره على المائدة . —

أن لفكتور شأنا جديدا في هذه الايام

اما هو فلم يتجرأ على الذهاب الى الموعد فى مثل تلك الساعة المبكرة خوفا وحياء ، فاخذ يطوف في الضواحى بين المروج والمزارع ، وقد تعجب الفلاحون من رؤيته على هذه الحال فى تلك الساعة ، لانهم لم يروه من قبلها مبكرا هكذا في المروج .

ولما دنت الساعة من التاسعة انطلق فكتور نحو عين التلاق ، وكان وهو بلباس الصيد البهى احسن منه بثوب الزيارة ، فرأى المركيزة جالسة هنالك وقد اعتمدت رأسها بيدها شأن المفكر المتأمل ، ولما رأته مقبلا نهضت لاستقباله وقد تولاها شيء من الاضطراب ، وظهرت على وجهها علائم الاكتئاب ، ولما جلسا قالت له

ـ لقد فكرت امس فى امر العين فرأيت ان ابقيها على ماهى عليه الان فان هذه الرسوم والاثار ملائمة لموقعها الطبيعى واخاف ان يضيع حسنها بالاصلاح

ودارت بينهما المذاكرة على هذا الموضوع ، فاظهر فكتور كل مالديه من العلم واوضح رأيه فى الامر ، وتنقل بينهما الحديث على انواع مختلفة ، وفكتور يفيض فيه بأفصح لسان وأعذب بيان حتى سالت أليس بكليتها اليه وتقاربت منهما الروحان وتناسب القلبان ، بما بينهما من صلة الشباب ورابطة الجمال ، وما فى ذلك المكان من مظاهر الحسن وتجليات الانس ، فما افترقا الا وفى قلب كل منهما حب عظيم ووجد مقيم ، يشعران به ولا يبوحان

وتواعدا على اللقاء فى الغد فى سرفيل حيث تكون ليلة الانس [illegible] عودة ، وانصرف فكتور بجسمه الى منزله تاركا فؤاده عند

أليس ، فرآه ال بيته على تلك الحالة من تشتت البال والبلبال ، فبالغوا بالاعتناء بشأنه ودارت به زوجته واولاده يحاولون تنبيه فكرة اليهم ، وهو لاه عنهم بالتي سلبت منه ذلك الفكر ، حتى انه خالف العادة في النهوض عن المائدة قبل ابيه وسائر ذويه بلا عذر ولا استئذان ، فعجب والده من ذلك ولم يتمالك ان قال . —

ياللعجب !! مالذي اصاب فكتور ؟

فقالت ماري

ـ يظهر انه قد تولاه الضجر واشتاق الى معاشرة الناس فلا بد من ارساله الى المدينة فنحن ها هنا لانشفيه ولا نكفيه

ـ ان كان الامر كذلك فاذهبا الى بواتو واصرفا هناك فصل الشتاء

ـ انا لا احب المدينة ولست بتاركة منزلنا فقد خلقت في هذه البلدة ونشأت في احضان هذا الوادي فلو تركتهما لمت غما فليذهب فكتور بمفرده وانا اقيم هنا

ـ وكيف تصبرين على فراق زوجك ؟

ـ اني اريد له السرور والسعادة ولا بد لي من الصبر فللضرورة

بالحكام فانا اقيم ها هنا مع الاولاد ولا شك ان فكتور سيعود الينا ولو بعد حين وان الله لمع الصابرين

ثم اعياها التجلد فسقطت من عينها دمعة سخينة ، فمسحتها باطراف البنان وقامت لتلحق بزوجها فى غرفته . ولما كان الغد لم يخرج فكتور من المنزل ، بل اهتم الى المساء باصلاح شأنه ومراقبة لباس الخدم ومسح العربة والخيل ، اهتماما لم ير منه قبلا ، ثم عنى بامر لباسه فتأنق فيه ماشاء مسرعا غاية الاسراع ، حتى تم استعداده قبل والده بنحو ساعة ، فاعجبت به ماري وهو على تلك الحال اعجابا ممزوجا بالشك ، ولم تجرأ على معانقته وتقبيله ، مخافة ان تجعد البدلة أو القميص

وأقيمت المأدبة فى سرفيل عند الباريسيات على وفق المرام وجرى تمثيل الروايات الموعودة ، فكانت دي فلورين المركيزة الحسناء هي الممثلة لاهم الادوار ، فأجادت تمثيل ادوارها واحسنت غاية الاحسان ، حتى جري مدحها على كل لسان ، فلما تجلت على المدعوين فى الصالة العمومية بعد الفراغ من التمثيل ، حسدتها النساء وخفقت لها قلوب الرجال بما اوتيت من كمال ذلك الجمال ! ولا تسل عما جرى لفكتور الذي لم ير تمثيل رواية ما من قبل ، ولا حضر مثل هذه المأدبة ، فكيف به والتي استعبد قلبه هواها واسترقه

بيان بديع معناها ، هي المشار اليها والمعول عليها في المأدبة والتمثيل الا انه كان آخر من تقدم اليها للثناء عليها ، فلما رأته انعطفت اليه كأنما هي تطلبه من دون سائر القوم وقالت

— هل سرك مارأيته مني ؟

— آه ياسيدتي ...

وانعجم لسانه عن النطق واستعصى عليه الكلام فلم يزد والتزمته بقية الليلة لم تشتغل عنه بسواه ولم ترقص ، لانه لم يكن يعرف الرقص ، وهي مع ذلك تتصباه برقة لفظها وتتيمه بحركات لحظها وترشفه من المنادمة مداما تثير في القلب صبابة وغراما ، حتى هزه الوجد واستخفه الفرح ، ولمح الناس منه ومنها ما كانا عليه فتحدثوا في أمرهما متأسفين على ماري زوجة فكتور

وانصرف والد فكتور وحميه والد ماري الي منزلهم برهة لي في أول المنصرفين ، ولبث فكتور في المرقص حتى لم يبق فيه أحد من المدعوين ، ثم سار الاخر وفي فؤاده للحب أسرار ، ومنذ ذلك الحين انقلبت احواله ايما انقلاب ، ولكنه انقلابا باطنيا حافظ على كتمانه أشد الحفظ ، غير انه لم يكن ليخفى عن قلب زوجته ، وان كان خافيا عن الناس

أخذ يخرج من المنزل ويعود اليه في أوقاته المعينة ، ولا ترى

منه زوجته غير الحب والائتلاف ، ولا يجد منه أولاده غير الحنو والانعطاف ، والسكينة ظاهرة عليه اذا رآه من لم يعان الصبابة أيقن انه خلو من الضرام ، ولم تر عينه مايتقد في قلبه من نار الحب ذات الغرام ، ولا عجب فانها لا تبصر القلوب الا عيون القلوب

وأقامت المركيزة الحسناء في سرفيل بعد المأدبة ستة أسابيع وأهل الناحية يتحدثون في أمرها وأمر فكتور ، ويكثرون فيهما الاقاويل ولكن من غير شاهد ولا دليل ، اذ كان المحبان على حذر من الرقباء ، يكتمان حبهما كلما التقيا على مرأى من الناس ، حتى كأن الذي بينهما معرفة عادية لاغرام موثق العهد

ثم سافرت المركيزة الى باريس ، فتجلد فكتور للاعج الاشواق وغصة الفراق ، وزار أهلها في سرفيل متجلداً أشد التجلد حتى انه لم يدع أن يظهر عليه شيء من علائم الاكتئاب أو دلائل الاضطراب ، ولكنه لم يمض على ذلك غير بضعة أيام حتى أعياه هذا التجلد فبكر ذات يوم الى غرفة زوجته وقال لها متلطفا ما استطاع

ـ انى أروم السفر الى باريس لمصلحة تقتضيها ظروف الاحوال فهل تأذنين لى فى ذلك ؟

ـ لك الامر فافعل ماتشاء

ـ اذن أسافر غداً . استودعك الله

الفصل السادس

فى باريس

سافر فكتور الي باريس على أن يقيم بها شهراً واحدا ، ليتسني له رؤية ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب ، وبعد مدة كتب اليهم يقول . انه شديد الرغبة فى طلب العلم ، قوى الميل للتفقه فى أسرار السياسة ودراسة القوانين ليكون حقوقيا ، فيتأتي له الوصول الى مرتبة النيابة عن مقاطعته ، لانه تململ من كونه رجلا عطلا لافائدة منه ، يهمل ماوهبه الله من الذكاء ، ويرضى من الحياة بالخمول والكسل ، ولا يكن له سؤدد ولا شرف ، وانه طمح الي المعالي وحدثته نفسه بالمجد فاختار المقام بباريس لعلمه بأن زوجته صادقه الحب ، فلن تعارضه فيما يسعي اليه مما يعود بالمجد والرفعة عليها وعليه ، وانه سيدرك امنيته بعد حين فيستقدم مارى اليه ، لتكون شريكة سعده ومجده ورفيقة أنسه ورفعته بلا فراق ، الى غير ذلك من انواع الخديعة وضروب الاحتيال

وتعاقبت عليه الليالى والايام وتوالت الشهور ، حتى انقضى عامين طويلين وهو يقيم بباريس يجتنى زهر الصفاء من حدائق الهناء ، ويرشف راح الافراح بكؤوس الانشراح ، ومارى مقيمة بعزبة لى تغالب الغم والكمد ، وتحاول الصبر والجلد ، لانها لم تنخدع

باحتياله وزخرفة رسائله ولا انطلى عليها محاله ، غير انها صبرت على تجنيه ورضيت بما كان يقضيه، فكانت تكتم النم وتكظم الغيظ ولا تراسله بما يشف عن القلق واشتغال البال ، الا انها كتبت اليه مرة تذكره بان أموالهما غير كثيرة ، فلا يجوز لهما اتفاقها جذافا وحرمان أولادهما منها، ثم ترجوه موالاة الرسائل وان يقدم اليهم لتراه متى أمكنه من ذلك شغله الجديد، وهلم جرى مما لا يخرج عن حد التلطف ولا يشعر باختلال الوداد ، حتي ان فكتور لما قرأ تلك الرسالة أغرورقت عيناه بالدموع ، وأوشك أن يعود الى بلده لولا أن جذبه علي رغمه جاذب الهوى ، لان حب المركيزة الحسناء كان قد سري في جسمه سريان الدم في عروقه ، فاقام لديها يغتنم اكتساب معاني الحب من طلعتها ، ويزورها ماشاء الحب والشوق لا يخاف عذولا ولا يخشى رقيبا

فدخل عليها في خدرها ذات يوم في الساعة الثانية بعد الظهر ولم يعد ذلك الفلاح الساذج البعيد عن بهارج الزينة وأحوال الاجتماع كما رأيناه من قبل ، فانه قد أصبح رشيقا لبيبا مليح الشباب كامل الصفات . فتلقته المركيزة بابتسامة تنم عن اعجابها به وشدة حبها له ، ومدت اليه يدها فقبلها باحتشام وابقاها بين يديه فقالت

ـ تأخرت عني يافكتور وقد كنت انتظر قدومك لنتشاور

ذيا ألبسه الليلة لمرقص السفارة فانى أريد أن اكون ملكة الحسان فيه

ـ ماعليك الا أن تظهري فما أحد ينازعك التاج

ـ لست أطلب منك المديح وانما أروم المشورة . فماذا تقول في اكليل من زهر ابرة الراعي العطري ؟

ـ انه فى غاية السناء والجمال لان هذا الزهر نادر الوجود فى هذه الايام أما الثوب الازرق فتكونين فيه قمرا فى سماء زرقاء عليه اكليل من الجواهر والزهر من دونه اكاليل النجوم الزهر

ـ أتستحسن ذلك حقيقة ؟

ـ غاية الاستحسان

ـ وأنت متي تتبعني الى السفارة ؟

بعد زيارة الوزير فقد علمت ان الامر على ماتريدوان النجاح رائدنا وازيدك علما قد عزم على عرضى للنيابة متي جاء وقت الانتخاب فسوف أصير باهتمامك نافعا للوطن

ـ آه لو كنت تعلم مقدار اعجابي بمزاياك وما اذكره فى كل يوم من أنك لولاي لكنت باقيا فى بلادك مجهول المكان خامل الذكر تنمو نمو النبات العديم النفع مع كونك ذا ذكاء يستاهل التعظيم فى هذه الدنيا لتخلد فيها آثارك وبعلو فى الوجود منارك فكلما نظرت اليك بالأمس وسمعت احاديثك ورأيت مالك من

المزية على الاقران حمدت الله على أن أوجدني في طريقك لارشدك الى سبل المجد والرفعة

ـ صدقت أيتها الحبيبة المفداة بالروح فلقد هديتني سبل الفلاح وانقذتني من عذاب الضجر ولولا أن رأيتك لمت غما ويأسا فقد كنت أذوب يوما عن يوم كما يذوب الشمع ولا أدرك لذلك سراً فاهيم من التصور في أودية الآمال التي يمثلها لي الخيال وهي غير موجودة في الواقع حتى استقبحت وجودي واستهجنت مقابلة كل من كان لهم في قلبي مكان من الحب فاصبحت منفرداً لا اجد أنيسا ولا التمس جليسا الى أن تجليت لي في مظهر الجمال فتحولت تلك الآمال الى تحقيق واقبال . فانا الان حي بهواك سعيد برضاك لا أرى من محاسن الوجود سواك . اغمض الطرف حين لا اكون لديك ولا تري عيناى عيناك لاعود بالفكر الى الايام السالفة فاذكر ملتقانا الاول إذ رأيتك في كنيسة منزلنا بين البروق اللامعة تخلتك ملكا علي سحابة تنبعث منها أشعة النور ثم اذكر موقفنا على الاثار والاطلال ورجوعنا من الغد الى عين التلاق حيث اتحدنا القلبان وامتزجت الروحان فنطقت حركاتنا بالحب من غير لسان واذكر المأدبة التي رأيتك فيها بهجة الانظار وفتنة الافكار واحاديثنا من بعدها في كل يوم على تلك العين ونحن

من وراء حجاب من الخفاء لا ترانا عين رقيب ومن ثم كان غيابك عني غياب الروح عن البدن حتى لم يكن الامر باحتياج الى مواعدتي بالحضور على اثرك الى باريس لانك لو نهيتني عن ذلك لما كنت انتهي فانك مذ حببت الى الحياة وأوضحت لذاتي ما بي من الصفات فاصبح كل مالدي من مال وما عساه أن يكون في من حسن وكمال ورفعة ومقام فهو مستمد من محاسنك الغراء فاءذني لي أن اجث بين يديك لانني واجب الثناء عليك

قال ذلك ورام الترامي على قدميها فمنعته وهي تقول

ـ آه ماضر الزمان لو سمح بتلاقينا قبل هذه الايام ولم يكن بين كل منا والاخر حاجز مكروه ؟

ـ كان هذا غاية امنيتي ياقرة العين ولكن مع ذلك فقد وجدنا لنحيا معا مؤتلفين متحدين. وبعين الله لن نفترق مادمنا أحياء

ـ لاريب عندي في صدق حبك وثبات قلبك

وترددت قليلا ثم اردفت ولسانها يتلجلج وصوتها يتهدج

ـ اني مع ماأعلم بما في نفسك من العواطف نحوي فانني في قلق مستمر منها فلا بد أن اسألك هل عندك خبر . ن بواتو ؟

ـ نعم

ـ وكيف حال مدام ديلار ؟

ـ تزعم أنها الان أحسن حالا ولكني فى ريب من ذلك فقد رأيت فى رسائلها سراً غريبا لم أر مثله من قبل فايقنت أنها تكتم عني حقيقة حالها

ـ ان كانت منحرفة المزاج فقد وجب عليك زيارتها لتدفع الظنون وترى أولادك الذين تحبهم حبا صادقا

ـ اذكرتني من ذنبي ما كنت ناسيا يا أليس . اني مخطيء الى التي لم أر منها الى الان غير الحب الخالص وان أولادي اعزاء على غير أن هـذا الحب وذاك الذنب يختفيان فى مظهر هواك فانك تسليني عن كل موجود ولا اسلوك بشيء من الوجود ولقد افرغت قلبي من كل شيء سوى حبك فصار لك الملك فيه بلا شريك

وفي هذه البرهة قرع جرس الباب منذراً بقدوم زائر، فانقطع حديث الاليفين وانصرف فكتور لحاله ، وبقيت المركيزة تنتظر دخول الزائر . ولما عاد فكتور الى منزله للعشاء قدم اليه الخادم رسالة من الكونتيس سرزول ، ترجوه فيها أن يأتي منزلها في الساعة الثالثة بعـد الظهر ، وإن تأخر من هذا الميعاد فلا يزعجن نفسه بالمسير اليها ، لانها لا تكون في المنزل بعد الساعة الخامسة

كانت هذه الكونتيس من نساء البلاط الملكي قبل الثورة ولها صداقة قديمة مع الكونت ديلار والد فكتور ، وهي كريمة

الخلق شريفة عالية النسب ، معروفة بالفطنة والذكاء ولها اصدقاء كثيرون في شارع سان جرمان (حي النبلاء) وكان فكتور قد بذل اقصى جهده في سبيل استعطافها ومرضاتها لتكون نصيرته في بعض الاحوال ، فاعرضت عنه عند مارأت تهتكه في حب أليس ، وذلك لما بها من الحرص علي العفة والآداب الاجتماعية ، حتى أنها وقفت له ولاليس بالمرصاد توسعها عذلا ولوما ، وتقصد التفريق بينهما رحمة بزوجة فكتور ، ولم تكتف بذلك بل اعلنت الى بعض الناس بانها تسعى لاصلاح ماافسد الغرام الطائش بين فكتور وماري ، واصبح هذا الامر همها الوحيد ، وبما أن صداقتها مع الكونت ديلار قديمة العهد ، مضى عليها نحو خمسين عاما وكل منهما مخلص للاخر ، حتي كان الكونت لايكتم عنها شيئا من أسرار ضميره ، فلما وقع لفكتور ما وقع كتب اليها يخبرها بسفره وما ألم ببيتهم من النغم وكيف صبرت ماري على ذاك صبراً جميلا ، واعلمته الكونتيس رداً على رسالته بما كان من ابنه في باريس ، وأنه بلغ من شدة حبه للمركيزة أن ترك لاجلها مذهب آبائه في السياسة وانحاز الى نصرة الوزارة فاضاع شرفه في سبيل الحب

وكانت الكونتيس غاضبة على فكتور من وجهين ، الاول انه تهتك في الحب فاضاع ... ، والثاني انه اتبع من السياسة

مذهبا لا يلائم نسبه ، وطالت المراسلة بينهما فيما يحسن التوسل به الى رده عن طريق الغواية ، وارشاده الى سبيل الهداية ، ثم سارت بنفسها الى مره لي لاجل هذا الامر ، ولما عادت الى باريس احتجبت فى منزلها لا تزار الا فى أوقات معينة ، ولا تخرج الا متنكرة مستصحبة فتاة تزعم انها أتت بها من بواتو لتكون لها رفيقة

فلما وقف فكتور على رسالتها ساءه فوات الوقت الذى طلبت فيه زيارتها منه ، وخاف ان تتخذ تأخره عنها حجة جديدة عليه لانه كان يخاف جدالها فى قضية حبه التى لا تقوم له فيها حجة فكتب اليها يعتذر بما حضره من الاعذار ، ثم أخذ في اصلاح شأنه استعدادا للذهاب الي مرقص السفارة

ولما حان الموعد تجلت غرف السفارة الانجليزية بانواع الزينة المعتادة في المآدب الكبيرة ، وتقاطر اليها المدعوون من كل جانب ، حتى كاد الزحام يمنعهم من الحركة ، وكانت المركيزة الحسناء فى المرقص فتنة للناظرين ، سطعت جواهر حليها من تحت ازهار ابرة الراعى فاستلفتت نحوها الابصار ، فما تحدث من رآها الا فى حسن وجمال زيها وجمال محياها ، وكانت لم تحضر الى المرقص الا قرب منتصف الليل ، كما هى عادت الحسان المتصببات ليعظم الشوق اليها ، فدار بها الناس من كل جانب

وهي تبحث بنظرها عن فكتور ، حتى لمحته بين الجمع فتقدمت اليه ، وما أن رأت علائم اعجابه بها بين عينيه ، حتى لمت لذلك اسرتها وتمت به مسرتها

وعند منتصف الليل تماما اعلن الحاجب قدوم الكونتيس سرزول والفيكونتيس ديلار ، فالتفت اهل المرقص متعجبين مما سمعوا، فانهم كانوا يعرفون الفيكونت فيكتور ديلار ، ولكن لم يكن فيهم من رأى زوجته ، بل كان اكثرهم يحسبونه عازبا ، فلما نطق الحاجب باسم تلك السيدة المنسوبة اليه ، اخذهم في امرها حب الاستطلاع فداروا بها من كل جانب، يرمونها بالانظار ويتداولون فى شأنها الاقاويل والظنون

اما ماري فان مرافقتها للكونتيس كانت كافلة لها بحسن القبول عند زوجة السفير ، ولكنها كانت مع هذا خائفة كاسفة البال مشردة الفكر ، لائذة باذيال رفيقتها تهيبا من فكتور ان تلقاه فيسوءه انقيادها لرأى الكونتيس سرزول ، حتى وهن عزمها وكاد الخوف يعجزها عن الوقوف ، لولا ان شدت الكونتيس ازرها وأزالت عن قلبها الرعب ، وعللتها بادراك الاماني وانها ستكون هى المشار اليها بالبنان ، بين جميع من في المرقص من الحسان

الفصل السابع

بين الحق والباطل

كان ري مدام ديلار مماثلا لزي المركيزة الحسناء ، ألا أن ثوبها الابيض كان أزين وباقات الازهار عليه احسن ، وجواهر حليها أبهي وأثمن، ولم تكن كل تلك الحلى خاصتها بل أن الكونتيس أعارتها من حلاها الثمينة ما أكملت به أسباب لزينة ، وأحضرت لها زهر ارة الراعى من منابته وضفرت لهامنه اكليلا جميلا، وجملة القول أن زينة ماري كانت ى من زينة أليس على قرب المماثلة بينهما ، وقد اتضح ذلك لمن رأى الاثنين من أهل المرقص فصح عندهم أن ماري انما عمدت الى تلك المماثلة لتبين كيف يظهر الفرق بين المتشلبهات ، فكان ذلك موضوع الاحاديث فى كل حلقات لرقص . زما شتد قدر ماري قالت لها الكونتيس

ـ ينبغي أن ترقصى مع ابن اخي ليراك زوجك ولا تخشي سوءاً فانت منصورة لامحالة ومالك من شبه فى هذا الجمال

فامتثلت أمرها ورقصت مع ابن أخي الكونتيس بين الراقصين ، وهى لم تكن منفردة فى الجمال بين نساء ذلك المرقص غير أن جمالها ذا جاذبية فطرية ، وأيضا كاملا لاتشو به غضاضة

حسن الباريسيات ، الناشيء عما يكابدنه من عناء السهر وضنك الاثواب ، وفوق هذا وذاك فانها نجمة جديدة فى سماء باريس ولكل جديد طلاوة ، دأب كل أنسان يعل مما تراه عينيه فى كل يوم فيلتمس رؤية شيئاً جديدا

أما فكتور فكان بجانب المركيزة الحسناء فى آخر الغرف لاهيا بمسامرتها عن الرقص والراقصين ، وقد انقضى ساعة على حضور زوجته ولم يسمع بها ، حتى دنا منه أحد أصحابه وقال

ـ ماذا تقول فى مليحة فتانة تنسب اليك وهى بصحبة الكونتيس سرزول ؟

ـ انك واهم ياصاحبى فليس فى باريس من سيدة تنسب الى

ـ كلا لست واهما فالسيدة تدعى بالفيكونتيس ديلار وهى الآن ترقص فى الغرفة الاولى وقد حدقت بها الابصار وافتتنت بها العقول لانها من آيات الحسن والجمال

ـ أعيد عليك القول بأنك واهم

ـ كلا بل أنا على بينة مما أقول والسيدة بزى سيدتى هذه الا أن ثوبها أبيض

قال ذلك وأشار الى المركيزة فلورين فقالت له هذه

ـ بهذا الزي ؟

ـ نعم ياسيدتي بزيك هذا حتى اكليلها من زهرة الراعي ومتحلية بجواهرها متألقة

فتساءلت أعين فكتور وأليس عن سر هذا الامر ثم قال فكتور

ـ لا . هذا غير ممكن

فقال له صاحبه

ـ هلم وأنظرها اذا شئت

ـ هيا بنا لنرى هذه السيدة من تكون

وانطلقا الى الغرفة الاولى مخترقين صفوف الراقصين المتزاحمين، حتى تجلت لهما الحسناء المقصودة ، فتبينها فكتور فاذا هي ماري بعينها ، الا انها لم تكن كما عهدها ساذجة فطرية الخلق تخاف الكلام ولا تكاد تحسن تأدية السلام ، بل انه رآها بهية فتانة رشيقة الحركات ذات بهجة ورواء ، فحار في أمرها ولم يدر كيف أتت باريس وكيف تحولت أحوالها السابقة . ثم التقى نظره بنظرها فأوشكت أن يغمى عليها من التهيب والخوف ، ولكنها تجلدت وسكنت جأشها فأتمت الرقص ، وإذ ذاك شعر فكتور بيد مسته في كتفه ، فالتفت فرأى الكونتيس سرزول تبتسم له ابتسامة الظافر وهي تقول

ـ ألا ترى انى أعددت لك دهشة تجلب السرور ؛ وانى

اتقنت تعليم زوجتك فنون الحسان وأحسنت تلقينها أساليب الباريسيات . فهل عرفتها بعد تغير أحوالها وظهور جمالها ؟

ـ لك المنة والفضل فيما تكلفت من تعليمها وتغيير أحوالها ولكن ماضر لو أخبرتني بالامر وإن لم أشاور فيه . ألم تروني لذلك أهلا ؟

ـ لا ياحبيبي الفيكونت ولكني ووالدك قد أضمرنا لك هذه الخدعة الطاهرة المدهشة السارة ولو أعلمناك بها من قبل لضاعت بهجتها وقد أعيتنا زوجتك تردداً وامتناعا حتى تم لنا اجبارها على اطاعتنا اعتقادا بأن ذلك يجلب لك السرور

ـ لقد كلفت نفسك ياسيدتي من المبالغة في الاهتمام ؟

ـ لا كلفة فيما يجلب لك السرور فانت ابن الصديق القديم الذى أتى علي في صداقته خمسون عاما ، وما كتبت اليك صباحا أدعوك الي زيارتي قبل المساء الا لان ماري أبت أن تأتي الى المرقص من غير أن تعلمك بذلك وقد سرني غيابك عن المنزل ساعة ورود الرسالة فاني أمنت بذلك ضياع الدهشة وذهاب ما أتوقع لها من حسن التأثير

ثم تقدم نحو فكتور صاحبه الذى أبانه الخبر ، ولم يكن سمع مادار بينه وبين الكونتيس من الحديث فقال

ـ أرأيت مدام ديلار ؟

ـ نعم وهي زوجتي بعينها وقد أتت باريس هذا المساء و نزلت على الكونتيس سرزول فكتمت الكونتيس عني خبرها على سبيل المداعبة والمباغتة بالسرور

ـ هنئت بها ياصاحبي فهي آية من آيات البهاء

ـ واني من لقائها في اتم هناء

ثم انتهى دور الرقص فمشت ماري قاصدة زوجها والكونتيس وهي تتعثر بأذيال الخوف ، حتى وقفت تجاه فكتور ولم ترفع طرفها اليه ، فقالت لها العجوز

ـ لا بأس عليك يابنية فاني قد التزمت العهدة في كل ماجرى فلن تسمعي فيه لوما ثم أن زوجك يحبك الحب العظيم فلا خوف منه

فقال فكتور

ـ مرحبا بك ياسيدتي وان كنت قد اخترت لنا هذا الملتقى السومي

فقبضت ماري على يد زوجها وعلت وجهها حمرة الخجل فقالت لهما الكونتيس

ـ تخطرا معا ياولدي وأنت يافكتور كن معجبا بامرأتك مسرعا لاظهارها للناس فذلك يفيدك خيرا وسأقدمكما الى بعض ذوي

للقامات الذين يرجى منهم النفع

فلم يستطع فكتور مخالفة الكونتيس بل سار بزوجته على اثرها ، فطافت بهما على أهل المرقص تعرف بهما اكابر الوجهاء ، رافعة صوتها ماامكن رفعه في ذلك المقام، مخاطبة كل من تقف عليه بهذه العبارات : —

لله ماأجمل هذين العروسين . انهما سيقيمان فى باريس . لقد كان اعتلال صحة مدام ديلار السبب فى افتراقهما هذه المدة وقد عاودتها العافية فلن يفترقا بعدها . ألم أحسن صنعا فى الجمع بينهما فى هذا المرقص البهيج ؟ . أما ترون عليهما لوائح الهناء والسعادة

وكانت مارى فى الواقع فرحة منعمه القلب سرورا ، الا أن فكتور كان مضطرب الذهن منقبض الصدر ، يروم الخروج ولا يستطيع التخلص من ملازمة الكونتيس ، فانها لم تكن تغفل عنه طرفة عين ، وقد بشرته بانها لاتنصرف من المرقص فى هذه الليلة السعيدة ، التى هى عندها بمنزلة العيد الا بعد انتهاء الرقص وتفرق المدعوين

وكانت أليس مركيزتنا الحسناء على حالة من القلق لا يعرفها إلا من يعانيها أو يقع فيما يدانيها ، فلم تجرأ على مغادرة مكانها بل وقفت فيه شاخصة الى باب الغرفة تنتظر اياب فكتور ، كالمتهم

المنتظر صدور حكم القضاة ، الى أن مر بها صاحب فكتور الذى اتاه ينبأ زوجته ، فابتدرته بالسؤال عنه غير مالكة من نفسها مايليق بها من الجلد فقالت

ـ ماذا جرى للسيو ديلار ؟

ـ لقد تركته سعيداً مسروراً ووددت لو رأيته وزوجته يتخطران بين الراقصين والكونتيس تحول اليهما الانظار

ـ أتركته مع زوجته ؟

ـ نعم وهى لعمرى فتاة حسناء يأخذ جمالها بالالباب . هل تعرفينها ياسيدتى ؟

ـ اعرفها . . رأيتها فى بواتو فلاحة عسراء بلهاء

ـ لست ادري ان كانت بلهاء ولكني اقول عن يقين انها ليست فلاحة ولا عسراء

ـ وهل هما الآن معا ؟

ـ على أحسن حال من المسرة والهناء ينظر اليهما بالاعين ويشار بالبنان

فاوشكت المركيزة أن يغمى عليها من هذا القول غيرة وقلقا ، فحدثتها نفسها بادىء ذى بدء ان تناظر ضرتها علنا بشاهد الحسن والجمال ، ثم خامر قلبها الخوف من حيث لاتدرى ، وكانت هذه

اول مرة خافت بها مناظرة الحسان ، فرأت ان الفرار من هــذا المكان اوفق لها من الثبات واحفظ لكرامتها ، فعولت على الانصراف وعليه قالت للفتى

ـ ارجوك ان تدعو الى المركيز فلورين من هذه الغرفة فقد دعاني الى الانصراف ثلاثا ولا أريد أن يتكلف لاستدعائي رابعا

فامتثل الفتى وابلغ المركيز فلورين مقالة زوجته . فسارع اليها ملبيا مطيعا ، وكانت هي قد ايقنت بتعذر انتصارها فى ساحة المناظرة ، فرضيت بالتقهقر من غير انكسار للنجاة من غير فرار ، فعقدت يدها على ساعد زوجها وتمشت واياه فى غرف القصر متخطرة مختالة ، تبتسم لكل من تراه وتتيم كل من تلقاه ، حتى اجمع أهل المرقص نساء ورجالا على أنها لم تر من قبل أجمل منها فى تلك الليلة ، ثم لمحت الكونتيس سرزول وماري ومعهما المسيو ديلار عند المائدة ، فاومأت اليهم بالسلام ولم تجرأ على الدنو منهم خشية أن يخونها الجلد ، فانطلقت بزوجها مسرعة هارعة حتى وصلت من المركبة ، فالقت بنفسها فى زاويتها كاسفة البال واهنة العزم ، ونظرت الكونتيس اليها وهي منصرفة على تلك الحال ، فاخذتها الشفقة عليها فقالت في نفسها : —

أسفا عليها أن عذبها لأ ئيم ولقد فعلت فعل كرام النفوس

فهي جديرة بكل اشفاق

ثم التفت نحو فكتور فلم تجده ، فسألت عنه ماري فلم تعلم الى اين ذهب ، فساءها ذلك ولكن لم تكن بمن يقفون في نصف الطريق قبل إدراك الغاية ، فاخفت ما نالها من الاضطراب ، وعادت الى التطواف حول الراقصين في الغرف ، ثم حملت ماري على الرقص حتي كلت واعيت فالحت بطلب الانصراف ، فامرت الكونتيس باحضار مركبتها وركبت هي والفتاة وامرت السائق بالمسير الى منزل فكتور فصاحت ماري

ـ رحماك ياسيدتي كيف نسير الى منزله

ـ والى اي منزل غيره تسيرين . ايحسن بزوجة المسيو ديلار ان تحضر الي باريس ولا تكون في منزل زوجها ؟

ـ وما الرأى ان طردني ؟

ـ ان حمله الجهل والطيش علي الاعراض عنك فاتركيه وشأنه الى ان يصلوا اولادك في الغد فيشتد بوجودهم ازرك وتعظم حجتك ولكن ثقي انه لايتجرأ على طردك

ـ ولكني كيف كان الامر فاني خائفة من دخول منزله

ـ اني ارافقك اليه واضمن لك البقاء فيه

ـ امرك وما تريدين

ولما بلغا منزل فكتور استوقفت الكونتيس المركبة وارسلت السائق امامها يعلن قدومها ، واقتادت مارى من يدها الى السلم فرأتها ترتعد وجلا فقالت لها

ـ تجلدى لا بأس عليك أترضين ان تكون العجوز اقوى منك وان تستعيني بها على السير ؟

ووصل السائق الى الباب فقرعه ، فخرج اليه الخادم والنوم ملء عينيه ، ولما رآه ومن وراءه الكونتيس ومارى عجب من قدومها الى منزل سيده فى مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ، فقالت له الكونتيس

ـ هذه الفيكونتيس ديلار فبشر زوجها بقدومها

ـ ان سيدى غائب لم يعد بعد

ـ اذن ننتظره

فسار الخادم امامها الى غرفة الاستقبال ، وبعد ان جلستا قالت له الكونتيس

ـ ان المسيو ديلار لم يكن متوقعا وفود زوجته عليه فى هذه الليلة وانما اردنا ان نباغته بهذه المسرة فجأة وعلى غير انتظار ولا شك انكم لم تستعدوا لاستقبالها الآن لانكم على غير علم بوصولها

فانحنى الخادم تصديقا على هذا المقال ، وانصرف لاعداد

ما تحتاج اليه سيدتي من اسباب الراحة ، فقالت مارى متمتمة

ـ ماذا عساه يقول

ثم نظرت الى ما حولها من الآنية المستظرفة والتحف الثمينة المزخرفة ، فدلتها فطرتها الانثوية على انها هدايا نسائية فقالت

ـ ما هذا الاسراف والتبذير وكم فيها ارى من اثر لغيري

ـ عليك بالتجلد يا ابنة فانت ها هنا صاحبة الحق الاول فلا تجزعي ان الله ولي امرك واخيار الناس انصارك

— ٧٧ —

الفصل الثامن

الزوجة المخلصة

واقامتا نحو نصف ساعة تنتظران والكونتيس على شيخوختها لا تظهر شيئا من علائم الكلال والتعب ، غير انها كانت تحركتها من حين الى حين مللا من الانتظار ، ثم شعرت بحركة مركبة وقفت في الطريق وعلى اثرها قرع جرس المنزل ، ففتح الباب ووصل الى سمعها صوت فكتور وسمعت الخادم يخبره بقدوم زوجته ، ثم رأته مقبلا على الغرفة فنهضت اليه وماري لم تستطع النهوض من شدة الوجل ، فاسرعت اليه الكونتيس تقول .

ـ هذه زوجتك يا حبيبي الفيكونت صحبتها الى منزلك لاسلمها اليك تسليم الامانات ثم امضي فاستريح

وبسطت اليه يدها للوداع واردفت تقول

ـ واعلم اني خدمتك خدمة من طب لمن حب ولسوف تذكرني فتشكرني

ثم عانقت ماري وهي فاقدة الرشد خوفا وانزعاجا وخرجت ، فتبعها فكتور محاولا اخفاء غيظه بتشييعها الى الباب بالاكرام اللائق ، ثم عاد الى زوجته ووقف امامها صامتا شاخصا اليها بزهة

من الزمر ، ثم خاطبها والغيظ يكاد يخنقه فقال

ـ اى سيدتى . اني اراك هنا وقد جئت غير مدعوة دون ان تدركي ان كنت قادرا علي قبولك او علي استمداد فوضعتني بذلك فى احرج المواقف واوشك ان اكون به موضع سخرية عند اهل باريس . لاجرم قد افرطت الكونتيس سرزول في الاعتماد على شيخوختها وسطوة والدى فيما اختارت لنا من الحيرة والارتباك انى اعرف من طباعك واحوالك ما يحملنى على الجزم بأنك لم تحضرى المرقص مختارة وانما اكرهت على المسير اليه ولولا قوة ارادتى فى الضغط على عواطفى لما ملكت من نفسي الصبر وكنت الان لاأدرى .:. أى شيء

ـ مهلا فكتور مهلا . ارعني السمع ولا تلم الكونتيس ولا والدك ولا تسيء الظن بى قبل سماعك ماأقول ، انى اجهل شأنك في هذه المدينة ولا علم لماذا حرمتني من معاشرتك ولكنى لا اجهل الغاية التى تسعى اليها والامنية التي تروم الحصول عليها انت تلتمس العلاء والمجد والثروة والعز وتطمع أن يصيبك الانتخاب وتكون من النواب فيتسع لديك مجال الرفعة وتبلغ ماتريد . ولكنك في ذلك محتاج الى الصيانة مفتقر الى مايدرأ عنك الشبهات فلن تكون ـ.عظما الا اذا كنت مصونا ولو فى الظاهر سيما وأن لك أولاد

اعزاء وأنت لهم لا لنفسك ، ومع ذلك فلا بأس عليك بل كن كما شئت وافعل ما أردت ولا تبالى بوجودي فى منزلك فانى أكون فيه بمنزلة الصديقة الرفيقة أو بمكان الاخت الشقيقة أو غير ذلك مما تختار ماعدا منزلة الزوجة فتراني متى شئت أن تراني واسليك من غمك اذا رأيتنى لتسليتك أهلا ثم تفعل ما أردت وتذهب ايان قصدت وتكون ولى أمرك وأمورنا جميعا لايعارضك ولا يعترض عليك أحد ، واملك تستريح في أوقات الفراغ لمداعبة اطفالنا فتنكشف عنك الهموم فاولئك الاطفال مابرحوا اعزاء عليك لامحال . ويكون المشهور من أمرك عند الناس انك محصن فى اهلك مصون فى منزلك فترتفع عنك الشبهات وتندفع الظنون ثم انك تستريح أيضا من عناء تدبير المنزل وتخف عنك مؤونة النظر فى صغار الامور . اما انا فلا اطالبك بشي ولا ادعي لنفسى عليك حقاً وسأحفظ لك هذا العهد وإن كان شديداً علي وحسبي من السعادة رضاك ومن الهناء ان أراك

فعظم تأثير هـذا الكلام فى نفس فكتور حتى تغير لونه وانقلب غيظه رقة وأصبح غضبه حلما ، فانعطف الى زوجته ناقضا رأسه بين يديها ، متنصلا بلسان حاله من ذنبه اليها ، ثم قبض علي يدها مرتعداً وقبلها مسترضيا متودداً ، فسقطت عليها من عينه دمعة

الندامة ، فلاطفته ملوى سريرة عنه وقالت

ـ لا يليق بنا الاسترسال الى الشفقة أيها الحبيب فنحن الى الجلد والثبات احوج فلتستعن بهما أنت على السعي في شأنك وأنا أقيم على ماعاهدتك عليه . قد مسنى الان التعب فارشدنى الى الغرفة المعدة لي وغداة غد يصل أولادنا الاعزاء . آه لو علمت مقدار شوقي اليهم

ـ من أي وقت فارقتهم ؟

ـ من شهرين . فان الكونتيس سرزول رامت أن تعلمني وتمرني على عادات أهل باريس وتدربني على مخالطة الناس حتى لا اوجب لك الخجل فأتت بي من بواتو بامر أبيك منذ شهرين وبقيت عندها متنكرة عنك الى اليوم

ـ حاشا لحسنك ان يورثني الخجل فهو جدير بأن يحثني على الافتخار بك فانك اجمل من رأيت تحت السماء ولكم ذكرت بعد فراقنا أيام اللقاء وعاينت من البعد صنوف العناء وندمت فلم ينفع الندم بعد أن قضى الامر وجف القلم

ـ خفض عليك جعلت فداك فغاية سعادتي أن أراك سعيدا . فارجيء حديثنا الى الغد فان التعب قد اخذني مأخذه واستولى على النعاس

فلما وصلتا الى الغرفة التى امر باعدادها لها ، ولما خلت بنفسها جثت تصلي الى الله وتدعوه ان يهدي زوجها سواء السبيل ، وعند الصباح وصل الاولاد فقام فكتور بفرح لامزيد عليه ، وعانقهم مليا وقبلهم كثيرا ، وماري تحمد الله على جمع الشمل وتسأله تمام النعمة ، وهم كذلك ودخل الخادم ودفع الى فكتور رسالة مزخرفة لم يخف على ماري امرها فنهضت وهي تقول له فكتور

— اني منصرفة عنك لاعداد مكان ملائم لي وللاولاد وقد ظهر لي أن هذا المنزل على صغره يفي بحاجتنا الى أن نجد مكانا أوسع منه

وانصرفت من أمامه ولما أصبحت خارج الغرفة مسحت دمعة من عينها كادت تحرقها ، ولبث فكتور كاسف البال مضطرب الافكار . يرى نفسه اشقى أهل الارض لوقوعه بين اليفتين مخلصتين متساويتين فى محبته ، لا يستطيع مقاطعة اولاهما لانها زوجته وأم أولاده وشريكته فى اسمه ، ولا يقوى على هجر الثانية لانه عاهدها علي الحب والوفاء ، فبذلت له نفسها متعرضة فى سبيل حبه للعذل واللوم ، وضياع الحرمة عند زوجها وآلها وسائر الناس فهو بين قوتين جاذبتين يقاسي عذاب الخوف ولوعة الهجر ، وهو الان بين يديه رسالة الحبيبة وكأنما صورتها مطبوعة على الغلاف ، تنظر اليه نظر المؤنب والموبخ ، فيردد فى فض ختامها مخافة العتاب

ثم غلب عليه حب الاستطلاع ففتح الرسالة ، فلم يجد فيها شيئا مما يخافه ويخشاه ، بل كان مضمونها انها علمت ماتحتم عليه من حكم الضرورة ، فهي صابرة متجلدة لاتشكو ولا تلوم ، وانما تسأله أن يزورها لتسمع من لسانه تفاصيل حكاية الحال . وان كان الزمان قضي عليها بفراقه فلا أقل من أن يتولى تسليتها نوعا ما ، فهي تنتظر قدومه اليها بكل شوق

فاستثارة هذا الكلام وجداً واستفزه غراما وشوقا ، فطار الى منزل الحبيبة خافق القلب منزعج الحواس ، مشغول الفكر بما نالها من الغم . فرآها منفردة في خدرها منهوكة القوى صفراء اللون نمبرة وجزعا . فبسطت اليه ذراعيها عندمارأته داخلا عليها وقد برح بها الوجد لدرجة انها لم تقدر على ضبط عواطفها فاغمى عليها . فابتدرها برش الماء وفتح النوافذ لتجديد الهواء . ولما افاقت رأته جاثيا ماسكا يقبل يديها ويقول

ـ لاتجزعي فلقد جمعت بيننا المودة فلن نفترق مادام فينا بقية من الحياة

ولما عاد الى منزله وجد ابنه يلعب في غرفة المائدة ، فنظر الى وجهه الابيض الغض من تحت شعره الاشقر الجعدى ، فطابت برؤيته نفسه وانشرح لها صدره ، وعلم أن الحب الوالدى هو اللذة

الحقيقية التي تسليه عما عساه أن يفقد من سائر اللذات ، فخاطبه يقول

ـ اين أمك ياأوجين ؟

ـ امي أعدت لنا عند الصباح غرفة بجوار غرفتها لنكون فيها منفردين عنك فلا ترانا الا اذا شئت ولا تزعجك متى كنت مشغولا

فقال فكتور في نفسه . ـ

مابرحت هي اياها . خلق كريم ونفس شريفة وفؤاد سليم وأنا أقابل هذا الوفاء والاحسان بالخيانة والكفران

ولما شعرت ماري بإياب زوجها أقبلت نحوه مرحبة به باسمة له وهي تقول

ـ رأيت الآن الكونتيس سرزول فذكرت لها كل ماأبديت لى من الملاطفة ولجا لة فسرها ذلك اي سرور وهي تروم أن أسير معها لزيارة بعض الوجهاء وزعم أن فى ذلك مصلحة لك فان كنت توافق عليه فانا نزور أولا المركيزة درميل والمركيزة فلورين اللتين عرفناهما فى بواتو من قبل

ولما نطقت مرى باسم المركيزة الحسناء تهدج صوتها وارتعشت أعضاؤها ، مما نالها من انفعال النفس ولكنها تمالكت وتجلدت مااستطاعت ، حتى كاد قلب فكتور ينفطر شفقة عليها لما صغرت نفسه عنده بما وجد بها من كرم النفس وطيبة الارومة ، فضمها لى

صدره باكيا وقال:

ـ عفوا . عفوا . ان ذنبي لكبير ولست بجدير منك بهذا الحب

ـ دع هذا الكلام فاني زوجتك الامينة وابى الله أن تألف نفسي الحقد والضغينة بل حسبي من السعادة أن أراك وأفوز بدوام قربك و رضاك

فعلم فكتور أن عفو زوجته واسع لاحد له ، وعلمت هي أن في قلبه بقية من محبتها ، فامسي قليل الوجل وباتت كثيرة الامل

ثم اتمت ما استأذنته فيه فزارت أليس ولم تجدها ، فتركت لها بطاقة زيارتها فانفتح بذلك باب التزاور بينهما ، فنجا فكتور من ضنك الارتباك



الفصل التاسع

سيف الغيرة

تعاقبت الايام على هذه الحال ستة اشهر طوال ، وماري صابرة صبر الكرام لاتخلف وعدا ولا تنكث عهدا ، ولا تألو في اخفاءعذابها جهدا ، وفكتور يرى منها الصبر والتآسي العجيب فيرق لها فؤاده ، ويترضاها بالاقبال عليها والانعطاف اليها ، فلا تراه الا مهتما بشأنها مسارعا الى قضاء ماتريد . يتحفها بالهدايا والتقادم النفيسة ويتفحها بما تشتهيه نفسها من غير سؤال . ولا يعارضها . في شيء من امور المنزل . فتقول له كلما اتاها بهدية غالية او ثوب جديد

— اكثرت جدا فلا تبذر المال من اجلي فانت محتاج اليه

— انني انفق من حباء الوالد فهو منذ قدومك الى باريس يرسل مايلزمنا من المال رغبة في مرضاتك وتوفيرا لاسباب راحتك ويأمرني ان ابذله في سبيل سعادتك من غير حساب ولو استطعت لالقيت تحت اقدامك ذهب الارض في الطول والعرض

ولم يكن هذا القول شافيا لعلة ماري . ولا ذلك المال المبذول كافيا لازالة ما بنفسها من ألم الغيرة . فالمال عرض حقير لا يفي

الغرض ازاء الحب الصادق . لان الحب مقام ارفع من ان تصل اليه يد المال . غير ان ماری لم تكن اشقى من المركيزة الحسناء . لان الالم الذی يمكن اعلانه بلا خجل ولا خوف من اللوم . يخف على النفس وان كان شديدا . كما هو حال ماری الآن بخلاف مركز أليس التى لا يمكنها المجاهرة بغيرتها . لان الاولى على الحق والثانية على الباطل

كانت اليس شديدة الغيرة لا تستطيع الصبر على قرب فكتور من زوجته . مع معرفتها بمنزلة ماری من صفاء النية ورقة الاحساس . ولا تجد من سبيل الى الراحة مع علمها بازدياد حب فكتور لها واشتداد هواه ، وكانت مع ذلك رقيقة الطبع يؤلمها ان تكون مضطرة لغض الطرف وخفض الرأس كلما رأت زوجة فكتور ومما زادها ألما وعذابا ان زوجها المركيز فلورين تنبه من رقدة غفلته ، فاساء بها الظن وداخلته الغيرة عليها ، والسبب فى ذلك انها رأت فكتور يؤانس زوجته ماري في محفل قوم من الوجهاء ، فخانها الجلد وظهرت عليها الغيرة باجلى مظاهرها ، حتي تنبه لامرها كل من كان حاضرا ، واتصل الخبر بالمركيز فأقام عليها العيون والارصاد ، ووقف لها بالمرصاد ، يراقبها ليلا ونهاراً ولا يغفل عنها طرفة عين ، وان رأى غير شيء ظنه شيئا .

ومع هذا كله لم يمنع المركيز فكتور من دخول منزله، ولكنه حتم على زوجته ان لا تقبل منه الزيارة الا نادرا ، فكانت تلقاه ويلقاها من حيث لا يشعر بهما رقيب ولا تراهما عين، واقاما على هذه الحالة راضيين بها غير مباليين بالمشقة ، ثم شعرا بان ارصاد المركيز تتبع اليس ايان سارت ، فاعتراهما الوجل وعادا الى التوقي والاحتراس

وكان فكتور قد اتخذ منزلا مزدوجا في شارع سانت اونوريه لكل قسم منه باب يطل علي شارع غير الشارع الاول، وبين القسمين بابا لا يفتح الا من جهة واحدة، فاختار لنفسه القسم الذى يفتح الباب الداخلي من ناحيته ،واسكن زوجته في القسم الثاني مشترطا عليها ألا تدخل قسمه بالمرة ، فلم تكن تلقاه الا على المائدة في اوقات الأكل ، وكانت المركيزة الحسناء تزوره في ذلك المنزل كلما سنحت لها فرصة وغفلت عنها اعين الرقباء

فأتته صباح يوم بدون سابق وعد ولا خبر ،وهي مضطربة واجفة الفؤاد لا تكاد تقوى على حمل نفسها ، وألقت بروحها على المقعد وهي فاقدة الرشد ، فصاح فكتور

ـ جعلت فداك ماذا جري ؟

ـ لقد سودت حياتي في عيني واصبح الموت غاية [illegible]

ـ دفع الله السوء فما الذي جري ؟

ـ لقد نكثت عهدي وسلوت عني . ألم تر كيف كنت بالامس تهتم بشأن زوجتك عند الكونتيس سرزول وكيف كانت هذه العجوز الماكرة تنبه الناس لذلك اجهازا على فؤادي الجريح بسيف الغيرة ؟ . بلى انك رأيت ذلك وكانت زوجتك حسناء تتظاهر بالصبر وعلائم الطهر حتى حسنت في اعين الناظرين وصارت هي المشار اليها بالبنان في ذلك المحفل فعاودك ماعهدته بك من حب الذات والعجب والزهو فملت اليها واقبلت عليها لتظهر للملأ انك سعيد في سرورك وهنائك

ـ وهمت يا حبيبتي فقد كنت حينئذ لا اكاد انظر الى ماري

ـ لا يفيد النكران بعد مشاهدة العين فقد ظهر غدرك الذي تنكره لمثلي تمسن في ذلك المحفل وكانت الكونتيس سرزول تلك التي نسيت عهد الصبا بعد بلوغها الخامسة والسبعين تبذل الجهد في تنبيه فكرتي لذلك الغدر

ـ يظهر انك اضعت رشدك ياقرة العين فان الكونتيس سرزول قد امسكت عن التداخل في شئوننا

ـ انها مالت الى الراحة لتهنأ بما جليت على من العناء

ـ أليس أليس . بهذا الكلام

ـ لا لوم علي فيه ولا تثريب وان خانني الجلد فاني اصرف

الايام في نضال اعدائي واعدائك لاعباً بانخفاض شأني وضياع قدري ولا ابالى بعاقبة امري ولا اروم الابقاء ودادك وصفاء فؤادك في حين اني لا اتمكن من لقائك الاخلسة في اوقات نذرة يغفل عنها الرقباء وانت مع ذلك تهجرني لاجل امرأة تخالها من الملائكة لمجرد انها تدعك وشأنك ولو كانت من اهل الحب لظهرت عليها الغيرة فان المحب غيور. قل لي ناشدتك الله ما الذي بذلته في حبك واى دليل اقامت عليه؟. تزوجتها فقيرة وانت غني ولها الآن اولاد تأمل أن تجذبك اليها بمغناطيس حبهم وهي مكرمة طيبة الذكر عند كل الناس واللؤماء يرقبون لها ليسلقوني بعد ذلك بالسنة حداد. وهي مع ذلك تراك في اى وقت شاءت دون ان تخاف شيئا او تحذر احدا فأنا أحق منها بالشفقة واجدر برحمة الناس

ـ ماهذا ياحبيبتي أليس اني أرى اضطرابك شديدا لا يؤمل الآن تسكينه ولقد ذكرت امر خفيت عنك حقيقته وهي ان ماري مع كل ماتتنسى به مما اوضحت في مقالك ليست اقل عناء وشقاء منك فانها تحبني كما تحبينني وتغار على كما تغارين انت على وهي مع ذلك متجلدة صابرة يمزق الغم فؤادها ولا ارى منها غير الابتسام فهل رأيت من يصبر هذا الصبر ويفي هذا الوفاء

ـ آه ما احسن هذا الكلام جئت اطارحك الحب واشكو اليك مابى من الوجد فكان جوابك الثناء على من احرقتنى نار الغيرة منها فلا كان اليوم الذى عرفتك فيه

ـ مهلا ياأليس . لا تسخطي على حبنا او تحل بك الندامة فالسخط باب الشقاء انى احبك حب الشحيح لماله واحن اليك حنين الغريب لوطنه واختبريني ماشئت فى هواك فما اختياري الا رضاك ولو شئت مزايلة هذا المقام فرارا من الرقباء واللوام لما باليت بفراق اولادى الذين تنوهين عنهم ولكان ذلك فى جنب ما بذلت لى من الحب هينا يسيرا

ـ ياللسعادة ياللفرح . أتقول صدقا وتنطق حقا ؟

ـ متى شئت تريني مقرنا القول بالعمل

ـ لقد شرحت صدرى واذهبت الغم

ـ واني اسألك فى مقابل ذلك نعمة واحدة

ـ مر بما تريد فانى لا اخالف لك امرا

ـ لا تظلمي مارى ولا تكونى فى ريب من كمال فضيلتها وكرم خلقها

ـ آمنت وصدقت

ـ ثم لا تسمعى فيها قول الاعداء ولا تثقي الا بما اقوله انا

ـ السمع والطاعة

فجثا فكتور امامها خاضعا خضوع الواله المفتون ، فامرت يدها البيضاء بين ثنايا شعره الاسود وهي بين النم والابتسام ، فجعل ينظر اليها نظر المغرم الثمل بخمر السعادة والحب . وبيناهما على هذه الحالة اذ فتح الباب الموصل بين قسمي المنزل فجأة ، ودخلت عليهما ماري وهي صفراء اللون ترتجف جزعا ، ووقفت بالقرب منهما الي جانب المركيزة الحسناء ولم تنطق ببنت شفة ، فقال لها فكتور منتهرا

ـ ماذا تريدين ؟

ـ ستعلم ذلك عما قليل فانا شدكما الله ان تتجلدا وتخفيا هذا الاضطراب فان الرقيب اقرب اليكما من حبل الوريد

وما ان اتمت عبارتها هذه حتى سمعوا من وراء ذلك الباب ضجة وصوت رجل يروم الدخول ويمنعه الخادم فيجيبه بصوت مرتفع

ـ اقول لك انه هنا ولا بد لي من الدخول

فصاحت المركيزة

ـ ويلاه هذا صوت زوجي المركيز

فقالت لها ماري بلهجة المحسن الكريم

ـ لاباس عليك ياسيدى اني اضمن لك السلامة وما عليك الا اظهار الجلدواخفاء علائم الخوف

وتقدمت نحو الباب وفتحته فرأت المركيز دي فلمورين فقالت

ـ اهلا ومرحبا تفضل فى الدخول وانما هو محظور علي غيرك لا عليك فاننا جعلنا غرفة زوجي الفيكونت ديوان تفصيل وازياء فلا نحرمك من هذا الديوان

فتقهقر المركيز الي الوراء لرؤيته مارى وغمغم معتذرا بما تيسر لديه من الكلام ، ثم بدت له زوجته من وراء ماري وابتدرته بقولها

ـ نعم لابد من دخولك فنحن في حاجة الى رأيك وقد كنا نروم ادهاشك فأتيت ولم يبق من سبيل لاخفاء الامر عنك

وظهر فكتور ايضا وقال مثل ذلك تأكيدا له والحاحا بالدخول ثم قالت ماري

ـ وموضوع اجتماعنا ياسيدى هو اختار زي للابسنا فى مرقص الدوقة فقد عن لى وللمركيزة ان نكون فى ذلك المرقص بزى غريب تحار فيه الالباب فاتينا غرفة فكتور نشاوره فى الامر ولا اكتمك انه لم يحسن استقبالنا لانه كان منقطعا لعمله وقد اصدر امره للخادم ان لا يأذن لاحد في الدخول عليه

قالت هذه العبارة وهم يدخلون الغرفة ، وبعد ان استقر بهم المقام قال المركيز مخاطبا ماري

ـ اذن كان مجيء المركيزة بقصد زيارتك ؟

ـ لاريب في ذلك وقد واعدتني على هذه الزيارة اول امس في سفارة ايطاليا

فوجه خطابه لزوجته قائلا

ـ كيف لم تخبريني بذلك أيتها العزيزة

ـ وما الموجب لاخبارك . لاجرم انك أصبحت مثل الزوج الغيور

فردت عليها ماري تقول

ـ لم يقصد المركيز الا المزاح بهذا القول لانه أرفع من أن تتولاه الغيرة في محصنة مثلك

فقال المركيز

ـ صدقت فما أردت الا المزاح

ـ فلنعد اذن الى ما كنا فيه . قلت يافيكتور ان ثوب الراعية المموه بالبياض يليق بالمركيزة وانا أرى ان زي راهبة من راهبات باخوس اله الخمر اليق بشعرها وعينيها السوداوين . فماذا يقول سيدي المركيز ؟

ـ انى بينكم بهذه الموضوع كالاصم بين المتكلمين فليس عندى مما انتم بهعلم ولا خبر ورأي الفيكونت ديلار اوسع ـ

فقالت المركيزة

ـ ألم أقل لكما ان زوجي لا يفهم شيئا من مسائل الملابس وانه لا يكاد يحتمل الخوض فى الحديث عنه

فأومأ المركيز برأسه مصادقا على كلام زوجته ثم قال

ـ وعلى ذلك فانى استأذنكم بالانصراف نفية أن لا اشغلكم علي غير طائل وسأتخير لزيارتكم وقتا البق من هذا

ونهض واقفا فنهض فكتور ؤتوديعه وشيعه الي الباب

الفصل العاشر

كرم الاخلاق

عاد فكتور من تشييع المركيز وهو أصفر اللون مضطربا، خوفا مما عساه أن يقع بين المرأتين . وكانت ماري واقفة أمام المركيزة تنظر اليها ، والاثنتان مضطربتين لاتجسر ان على افتتاح الكلام ، فقال فكتور بقصد صرف ذهنهما عما يخاف حصوله بينهما

ـ لقد اسرع المركيز في الانصراف فما اشد كراهيته لمسائل الازياء

فقالت اليس وصوتها يتهدج

ـ وانا منصرفة أيضا فلعل سيدتي تروم لاختلاء بك لامر ما

فقالت ماري

ـ نعم أريد مفاوضة فكتور في بعض الامور غير ان ماعندي لك من الحديث أهم

ـ لي أنا ! ؟

ـ نعم لك انت فان تنازلت للاصغاء الي بضع دقائق علمت ماأريد وتبين لك أهمية ذلك الحديث

ـ اني مصغية فتفضلي بقول ماتريدين . على اني لا أفهم . .

ـ عما قليل تفهمين . انت تعشقين زوجي وهو يحبك منذ ثلاثة أعوام : . .

ـ سيدتي . . . .

ـ لا تراوغي في اخفاء الامر عني فقد ظهر لكل أهل باريس ولا تحاولي انكاره فقد احتملت منه عذابا لا تحتمله الجبال ومرت بي هذه الاعوام الثلاث كلها شقاء وعناء و . . .

فقاطعها زوجها يقول

ـ ماري . حبيبتي ماري . أيليق بك هذا الكلام . أتريدين ان يكون بينكما نفرة ؟

ـ لا اريد نفرة ولا عتابا فلا تخف ايها العزيز فقد لازمت السكوت الى الان وكتمت حتى عنك ما كابدته من الالم ولولا الضرورة لما تعديت ذلك الحد وان كان الموت اهون مما انا فيه . وانت يا سيدتي لقد رأيت ماجرى وبي انقذتك من التهلكة ولولاي لساء المصير وكانت حياة فكتور في خطر . افلا ترين بعد ذلك ان لي عليك حقا

ـ اعترف بهذا ولك عليه عظيم المنة و . . .

ـ لا فضل لي فيما فعلت وانما الفضل للكونتيس سرزول فقد حضرت لزيارتي حين دخولك المنزل ولطفت بلين كلامها وحسن

بيانها ما نالني بسبب ذلك من الغيظ الشديد ثم تنبهت لنزول المركيز فلورين من عربته على باب منزلنا فقطنت للخطر وحلتني على الدخول عليكما لانقاذك وأنقاذ فكتور من البلية ولولاها لما خطر ذلك ببالي

فقال فكتور

ـ ماري خفضي عليك وارفقي بنفسك واجلي هذا الكلام الى وقت اخر

ـ لا ياسيدي فقد عزمت على التكلم ولا بد لي منه. قلت ياسيدتي انك رأيت وجه الخطر الهائل وعلمت ان اقل بادرة كافية في تنبيه زوجك لحقيقة الامر. فهل تعلمين ماذا تكون العاقبة وماذا يكون المصير ؟

ـ الفضيحة. وماذا يهمني ان افتضحت فيمن احب

ـ ان لم يكن عليك من الفضيحة من بأس فو بالها على فكتور فان المركيز كما تعلمين جبار عنيد شرس الاخلاق لا يغتفر زلة فاذا شعر بما بينك وبين فكتور حمله على المبارزة ويقتل احدهما لا محالة. فبأي الدمين تجودين ؟. أتجسرين على الظهور امام الله والناس مضرجة بدم زوجك وهو بريء من كل ذنب. او بدم زوجي وهو ذو بيت واطفال وقد بذل في سبيل حبك اعزوهان حتى الشرف ؟

ـ ويلاه ما اهول ما تذكرين

ـ نعم انه لهول عظيم لو تتبصرين ولا اخالك تقدمين عليه اما انا . انا الزوجة الشقية والام التميسة البريئة من كل ذنب فقد كابدت شديد العناء وأليم العذاب وما شكوت ولا تظلمت طالما كان المصاب . نحصرفي والخوف مقصور على أفليس من حقي الان ان اسألك حفظ الحياة لزوجي واولادي

ـ سيدتي تلك حياة افتديها بروحي

فقضبه فكتور للكلام وكان غارقا في بحار التفكر والخيال ، ثم نهض متوجها نحو الباب . فاستوقفته ماري وقالت له

ـ ناشدتك الله لا . . أ انتظرت قليلا

ـ لا استطيع البقاء فقد جعلتني في موقف سخرية واستهزاء فهذه مناقشة لا يليق بي سماعها وقد نهيتك عن فتحها ولم تفته فتى ما ابتدأت . . . في . . . الحو

ـ لا لن تذهب ولا بد ان تسمع الى النهاية كل ما يوحيه الى حسوني . . . ولينا ولا تجد سيدتي ما يمنعها على التشكوى و . . . ترتاح . . . لوجودك الان معنا فقد حان لامرنا ان يستقر على حال

فأومأت أليس برأسها اشارة الموافقة والقبول ، فجلس

فكتور ، ثم قالت المركيزة لماري بصوت ضعيف كالمذبوح

ـ وبعد هذا فما الذي تريدينه ؟

ـ اريد ان تتركي حب فكتور اريد ان تقينا جميعا سوء العاقبة فلا تطلبي لقاءه بعد الآن . أريد أن تتحملي ما تحملت انا الى اليوم من الصبر والحرمان ولا اكلفك الاماتات ولا أروم بذلك نصرا ولا افتخارا لانني عالمة بانك صائرة اليه واعرف تماما انه من المحال أن يعود لى ما عهدته من محبة فكتور لان الحب نور لا يضيء ان اطفيء وزجاجة لا تجبر ان كسرت وانا لا اتوسل اليك من أجل نفسي بل من أجله

فنهض فكتور ثانية يريد الخروج ، فارادت زوجته استيقافه فقال

ـ مارى انك حملتني ما لا اطيق فلا استطيع بل لا أريد أن اسمع فوق ما سمعت

فقالت أليس

ـ دعيه يذهب ياسيدتي فليس لنا به من حاجة اما أنا فاعلم ان حقي توجب علي خفض الرأس اليك وأن من حقك على أن أسمع كل ما تقولين نتكمي انى سامعة

وخرج فكتور فقالت ماري

ـ أرجوك أن لا تحسبيني غير مبالية بما تكبدينه من الآلام

فانى لست بغفلة القلب وقد عانيت العناء الكثير وذقت العذاب الطويل ولكن لا بد لي من الكلام فانك تعرفين ما كنا عليه من العيش المني قبل تفريقك شملنا ولا تستطيعين العلم بمقدار ما كنا فيه من السعادة قبل قدومك الينا

ـ انت كنت لاشك سعيدة . أما هو ؟

ـ وهو كان سعيدا أيضا فانه لم يكن يعرف غير مالديه

ـ صدقت ولكنه كان يتصور غير ماري ويتمنى غير مايصيب والامانى التى لاتدرك تقتل صاحبها

ـ ولكنك سلبتنى فكتورى

ـ كلا والف مرة كلا. انى لم اسلبك فكتورك اذ ليس فكتور الذي كان عندك وفكتور الذي ترينه الآن سواء . فقد كان ذاك فتى جاهلا لا يعرف شيئا وليس له معرفة ولا ذكاء بل كان فلاحا تدهشه رؤية امرأة ولا يدرك شيئا من أحوال دنياه ولا من حالة نفسه . اما هذا فهو رجل من أفصح رجال الزمان وممن تناط بهم آمال الاوطان . تتمثل به الرقة وسلامة الذوق ويشار اليه بالبنان بين الظرفاء . هكذا جعلته مذ عشقته حتى صار حسرة لقلوب مناظريه وحيرة لاعين ناظريه فهذا وجه حق علمه وهذا ما اوصلته حتى اليه . فهل كان فكتور كذلك قبل أن اعرفه وهل

عهدت به تلك الصفات قبل أن الفته ؟

ـ نعم هو ماتقولين ولكنك ذكرت شيئا وغابت عنك أشياء لقد ذهلت عن سوء العاقبة ولم تفطني للاخطار : وهي ان فكتور راض بما احرز من المجد والفخر فهل تحسبينه ناعم البال مطمئن النفس لايكابد العناء في موقفه الحرج بيني وبينك؟ ولقد رأيت الان كيف عجز عن احتمال عذابه فاختار الفرار

ـ كان يجب عليك أن تبقي في بواتو

ـ انى أعذرك على قولك هذا لانك لست أما ولا تعرفين مقدار الغم الذي يحيق بمن تري مستقبل اولادها على خطر الضياع

ـ لقد غلبتني الحدة وقات ذلك فأرجوك العفو. آه لو تعلمين ماأقاسيه

ـ أعلم ذلك ولا اجهل شيئا مما أنت فيه الا ترددك فى افتداء فيكتور مما نخاف عليه . تبصرى فى الامر مليا تعلمي ان لا نجاة لنا من البلاء مادمت تقتحمين الاخطار . آه لو كنت مكانك وكان بوسعى ان اعيد له الراحة ولو ساغ لى أن أتركه وشأنه . .

ـ لما كنت تفعلين

ـ ... أفعل بدون ريب وقد فعلت من أجله ومن أجل أولادى ماكان أعظم من ذلك اذ اقمت عنده ارى بعيني كل شيء

واصبر عليه والصبر على مالا يطاق أمر من نار الجحيم

ثم انقطع الحديث هنيهة من الوقت ، وأليس تبكي بكاء مرا وتلتهف من كبد حرى ، فدنت منها ماري وقبضت على يدها وقالت

ـ خففي عليك يا سيدتي وتجلدي واذكري ما عليك من الواجبات وانك انما تبذلين راحتك في سبيل محبتك

ـ آه يا سيدتي لا استطيع

ـ بل تستطيعين ان اردت

ـ أسفا اني اضعف مما تقولين

ـ استعيني بالله يهون الامر

فصمتت أليس والعبرة تكاد تخنقها ، واطرقت ماري وهي تنتظر الجواب ، ومضى ساعة لا يسمع فيها سوى شهقات المركيزة الحسناء ، ثم استعانت بما بقي فيها من قوة ، فكفكفت عبراتها ونظرت الى ماري نظرة الآيس وقالت

ـ نعم . الحق ماتقولين فلا بد من قضاء الامر ولا بد من اطاعتك ياسيدتي

ـ ليس ماأقوله امرا لتكون اجابتك طاعة

ـ بل لك الامر فانت صاحبة الحق ولست اجهل فضلك علي في هذا اليوم ولا انكر مارأيت من كرم نفسك ودقة طباعك

فيما سلف وقد آن لي ان اقف هذه الطَرق فكوني مطمئنة ستستريحين مني واترك لك زوجك ولا اراه ابدا فتحصل الراحة والسعادة

ـ وانت تكونين سيدة كلما ذكرت نتائج ماتبذلين لنا من المعروف والفداء

ـ لست انا المقصودة فيما افعل وانما القصدانت وهو واولادكما والمركيز فلورين ثم والدتي . اه ياربا. ليس لي غير والدتي

ـ ان ماتفعلينه الآن يكسبك رضاها لامحالة

ـ وأماه

ـ انها تحبك حبا عظيما

ـ سيدتي . اسألك ان تمهليني فيما اوعدتك ثمانية ايام وتأذني لي في رؤية فكتور مرة اخرى ثم ينقضي الامر

ـ أيليق بي ان ارد لك طلبا بعد ان وهبت لي حياة زوجي وسعادة آل بيتي بارك الله فيك وجزاك عني خير الجزاء

فخفضت اليس رأسها اخفاء لدمعتها وسترا للوعتها ، فدنت ماري منها وجعلت تواسيها مااستطاعت ، محاولة تخفيف مابنفسها من الألم واليأس ، فكانت تنظر اليها ولا تسمع كلامها ، او تسمعه ولا تعيه ، ثم قالت لها إقتضابا

ـ عديني ألا تذكريني بسوء بعد الفراق

ـ وقاني الله من ذلك . اني اعرف واجب حسن الذكر ولا اجهل حق ذوي الانفس الكريمة فلا تخشى مني اغتيابا ولسوف احفظ لك ذكري صديقة صادقة

ـ بارك الله فيك ما اكرم هذا الخلق واشرف هذه النفس

ـ لأنت اكرم خلقا واشرف نفسا فيما تفعلين

ـ استودعك الله ياسيدتي ، استودعك الله ابدا . اني سائرة عنك لاحاول كتمان آلامي وهذا هو العذاب الاعظم

ـ وماذا تريدين ان اقول لفكتور ؟

ـ قولي له ماشئت فانت صاحبة الامر وبيدك حياته وحياتي

ـ ولكن لا بد من عبارة انقلها اليه عن لسانك

ـ سأبعث اليه برسالة

ثم انطلقت خارجة من باب المنزل ، تغالب اليأس بالجلد ولا تلوي على احد



الفصل الحادى عشر

الاقدام على انتحار

بعد خروج المركيزة الحسناء ببضع دقائق عاد فكتور الى غرفته منزعج النفس مضطربا اصفر اللون ، كأنما هو خائف من عتاب زوجته ، فابتدرته ماري بالكلام قائلة

ـ لقد كانت المركيزة فلورين آية من ايات الشرف والكمال فانها فدتنا بنفسها كرما فلله درها من صديقة صادقة وهي تروم ان تكتب اليك وتراك مرة اخرى وقد صار لها علينا حقوق عظيمة فلا تنس ذلك ماحييت وابذل الجهد فى قضائه بالانعطاف اليها والاهتمام بخدمتها

فقبض فكتور على يد زوجته ، فاردفت تقول

ـ اراك متألما حزينا فلا تخف عنى ذلك لانى زوجتك بالظاهر الان واما في الباطن فانى لست مقيمة لديك الا لاحنو عليك حنو الوالدات فاداوى سقمك واخفف ألمك واصفح عن هفواتك واحملك على نسيان زلاتك . هذا هو شأنى لديك عرفته مذ اقترنت بك ولا زمته بعد ان اراد الله عز وجل ان يدلمينى بتلك فهل تريد الان ان ترى اولادنا ؟

ـ شكرا لك ايتها الحبيبة العزيزة على عفوك الذى لاحد له وكرم خلقك الذى أليس له مثيل . شكراً لك الف شكر . انى منذ الان لك ولاولادنا دون سواكم وانتم الرابطة التى بينى وبين الحياة وسأراكم بعد ساعات قليلة اما الان فانى محتاج الى العزلة فى صرف هذا الحادث الذى لم يطرأ على فى حياتى أعظم منه وقد ظهرت لى جسامة ذنبي وتبينت جمال صبرك الذى كان من وراء العقول وأريد الآن ان اكون اهلا لك وجديرا بحبك فدعيني منفرداً برهة وجيزه ثم نلتقي

فانصرفت عنه مارى قاصدة غرفة أولادها وهى تقول في نفسها :

ما أعظم حبه وما أشد جواه . ويلاه انه سيكون شقيا

وبقي هو فى عزلته مستسلما للغم منقادا للعذاب ، فعظم الامر عليه حتى لم يكد يصدق ما رأته عيناه وسمعته اذناه ، شأن من يوقع فى محنة يراها خارقة للعادة ، فيداخله الريب فى امره بداءة ذى بدء فكان يسائل نفسه هل حقيقة عدل عن حب أليس ، ورضي ان تبذل راحتها بل حياتها في سبيله ؟ فتتقد النار فى مهجته لدي هذا الفكر وتظلم الدنيا فى عينيه ، ثم يذكر زوجته وما عاملته به من الرقة والاحسان وأولاده وما لهم عليه من الحقوق ، فيزداد الما وعذابا على الله وعذابه

وبعد يومين جاءته رسالة من أليس ، ففضها وقرأها فاذا فيها

«علمت الآن لاشك ولاريب كلما جرى فانت تبكى كما ابكي»

« انا لانك تحبني كما أحبك. لقد كان ما جرى لنا محتوما لا مفر »
« منه فلولم يقع اليوم لوقع في يوم آخر لامحالة : لقد كثر ما حال »
« بيننا من الموانع وكان كل ما صادفناه اخيراً موجبا لافتراقنا ولم نكن »
« مطلقين ليكون كل منا للاخر . فقد وعدت زوجتك ان ابت »
« عقدنا وانقض عهدنا ولا أراك منذ اليوم الا مرة واحدة وسأنجز »
« ما وعدت مستمدة ما يلزمني من الجرأة والجلد وارجو ان تستريح »
« بما اتعب وتسعد بما اكابد من الشقاء. وقد بقي علي واجب »
« آخر وهو ان اردلك ماضي وعودك واطلقك من عهودك »
« وأرد اليك ما تيك الكلمات الطيبة والايمان والمواثيق المكرره على »
« ان لا نفترق بحال من الاحوال وان نختار الحيام في الارض معا »
« على الفراق . ابق لدي زوجتك فهي ملك كريم يسليك من كل »
« احزانك وأحبها وأحن علي اولادك ثم لا تنسى المرأة التي بذلت »
« حياتها في سبيلك استودعك الله الان وارجو ان أراك يوم اكتب »
« بذلك اليك ثم لا نلتقي بعدها في هذه الدار الدنيا. فاسلم ولا تكن »
« شقيا و مع هذا فاذكر وداد من احبتك اكثر من نفسها »

« أليس »

فقرأ هاته الرسالة مرارا وتكرارا حتى كاد يمحو سطورها
بدموعه، او يحرق قرطاسها بما اجيج من لنار بين ضلوعه، ثم انطرح

على فراشه تأنها ضائع الرشد . ومضى على ذلك يومان آخران ولم يأته من المركيزة خبر، فكان يقاسي العذاب الشديد ويحاول اخفاء مابه عن زوجته ،غيران هذه كانت ترى مابه بعين الفراسة، فتكابد من جرائه عناء مرا ، وفى اليوم الثالث جاءته من المركيزة رسالة مقتضبة هذا فحواها

« قابلنى غدا في الساعة الثانية فى منزلى بأوتوبل وهي المرة»
«الاخيرة »

فلما كان الغد وقرب الميعاد دخل فكتور على زوجته وقال

ـ ايتها العزيزة لقد وصلنا الى حالة لا أريد فيها مخادعتك.انى سائر الى اوتوبل التي بها المركيزة فلورين لاخر مرة . وعلى عهد الشرف ان لا اراها بعد ذلك فثقي بما اقول لانى تأملت الامر وتدبرته

ـانى معتمدة عليك ايها الحبيب فسر يحفظ الله واحفظ فؤادك وفؤاد تلك المسكينة من الالم والعذاب ما استطعت

فركب فكتور مركبته وسار قاصدا اوتوبل، ولما وصل الى منزل المركيزة رأى باب الحديقة مفتوحا خلافا للعادة ، فدخل واجتاز الحديقة الي المنزل فرأى أليس بانتظاره في اول السلم ،وهى صفراء اللون مكتئبة حزينة، وقد بدت مفعول الحزن هيئتها وغير حسنها ، فقابلته بوقار وتمهل يشبه ان يكون فتورا وقالت

ـ هلم الى غرفتي فاني ههنا بمفردي وقد اخترت الانفراد توقيا عن ان يزعجنا احد من الخلق وقل لسائق مركبتك ان يسير بها الى بيت الخولى ويربط الخيل هناك واغلق انت الباب الخارجي وانزع مفتاحه وعد الى لنجتمع فلا يرانا الا الله . ان هذه الساعة لرهيبة وهي آخر اوقات اللقاء

فامتثل فكتور امرها ثم عاد فوجدها في الغرفة منطرحة على متكأ عريض، وهي واهنة العزم ضجرا وتألما ،وقد ارتدت ثوبا ابيض وعلى شعرها زهرة نضرة ، وعلى صدرها باقة من زهر نادر وكذلك الغرفة مزينة بانواع الزهور المختلفة، فعطر الاريج جوها ما اثر في نفس فكتور حتى كاد يغشى عليه ، فمدت له أليس يدها فتناولها وقبلها بشغف فقالت

ـ ارأيت كيف جعلت هذا الملتقى الاخير والوداع الذى لا بعده لقاء مزينا بكل ما يجلب لنا السرور والصفاء فها هنا في هذا المكان قضينا اياما كثيرة مرت بنا كالاحلام نجني زهر المنى من حدائق الحب ومن حولنا هذه الدمى والتماثيل فما اجدرنا ان نجعل الوداع فيه زائدين عليها تلك الازهار لذكرى ملتقانا الاخير ما مضى لنا من الفرح والهناء . ألست مصيبة بذلك يا فكتور ؟

وكان جمال أليس ونورها على تلك الحالة في كمال [illegible] بهن

قبل ، غير ان رشاقة حركاتها فى هذا اليوم ومبالغتها فى الاهتمام بملابسها وزينتها وكل ماحولها، كان اظهر منها فى الايام السالفة، ألا انها قد استبدلت حدة مزاجها وهاتيك اللحاظ التى هى كالنبال بسكينة تدل على انها خائرة العزم واهنة القوى ، لاتملك من الحياة الا بقية فكأنما اغار اليأس على قوتها الفطرية، فلم تقاومه بل اوسعت له فى صدرها مكانا رحبا. وكان فكتور ينظر اليها هائما فى اودية التأمل فلم يجبها على سؤالها الاخير فقالت

ـ اي فكتور هل مسك ألم من تحتم الفراق بعد اذ علمت ان ليس بعده من تلاق . وهل رأيت السلو اذ ذاك سهلا . وهل طاب لك العيش من بعدي ؟؟

ـ لا تقولى هذا الكلام فهو عندي اشد من ضرب الحسام بل هو الموت الزؤام وقد صرفت الاسبوع متقلبا مما نحن فيه على مثل شوك القتاد حتى اصبحت ارى النهار مظلما وحرمت فى الليل لذة الرقاد. وقد علمت ان القدر قضى حكمه فى حبنا وانفذ فى قلبينا سهمه فتعين على ان ابذل فى سبيلك الراحة والمنى كما ذلت من احلى السعادة والهنا ولكنى مع ذلك لا اطيق هذا المصاب ولا اجد من نفسى مقدرة على احتمال هذا العذاب

ـ صدقت لقد كنا روحين فى جسد واحد وكنا فى مثل جنة

الخلد سعادة وفرحا وهناء لا اروم الا ماتريد انت ولا تطلب الا ماارومه انا واما اليوم فلا بد لنا من ترك ذلك كله امتثالا لأمر الناس لان الناس بلاء الناس

— لو شئت ياراحة الروح ولولم ترضى عني قيود العهد والميثاق انشطنا معاً من هذا العقال وقصدنا ملاذا من الارض بعيدا عن الرقباء وكنا به الان امنين

— نعم ان هذا لاريب فيه عندي وانى لو شئت لتركت وطنك وآل بيتك وكنا نسافر معا ونلقي اليأس فى قلوب العذال غير اننا لو فعلنا ذلك لكانت العاقبة عذابا شديدا وحزنا عظيما ءانى اعلم انك لاتصبر على توبيخ ضميرك بل لربما قتلك ذلك التأنيب اذ كنت ترى فى حلك وترحالك خيال زوجتك آسفة حزينة واولادك باكين مكتئبين ووالدك رازحا تحت اثقال الحزن ثم أنك لا تذكر لى من ذلك شيئا ولكنه لايخفى عني امره فينا لنا الشقاء ويكون الاسف مضعفا للثقة والثقة عماد الحب فتنهار دعائم حبنا ، لقد تأملت فى كل هذا منذ يومين حتى ظهر لى ذلك في مرآة الحقيقة واضحا ولذلك اعيد قولى ان لابد لنا من الافتراق

— ومن لى بالصبر يا... اراك اليوم ثم يجيء الغد وتتوالى الايام والاسابيع والاشهر والاعوام ولا ابصر هذا الجمال ان هذا

مما لا يطاق ، كيف ترومين ان اصبر على تجريد حياتي من رونقها وابقي بصفة ميت بين هو اجس الفكر و وساوس الذكر متقلبا على احر من نار الجحيم

ـ لا بأس عليك فانك لا تكون منفردا وحيداً

ـ هذا الذي تشيرين اليه اشد على من الانفراد فاني سأرى على الدوام ضحية ثانية لا ذنب لها تحتمل عذابها ويؤلمها عذابي وتتجلد لمصابها ولا تتسلى عن مصابى ثم لا اجد من امنية اعللها بها فى الحال ولا في الاستقبال ولا اري غير اليأس القاتل ، ان الموت خير من هذه الحياة

ـ الموت . الموت ؟ . نعم هو الصديق الوحيد الذي يمد لنا ذراعيه لاستقبالنا عند ماينفر منا الناس

ـ ماضرنا لو كنا نموت يا أليس ؟

ـ . [illegible]ت لا ينبغي [illegible]ن تموت ياحبيبي فان [illegible]ولادك محتاجون اليك ما [illegible]انا فاني مطلقة الحر[illegible]ية لا شيء يمنعني عن [illegible]التخلص من العذاب

ـ [illegible] الله الا ما اوضحت لى مغزى كلامك

ـ [illegible]يس الا مافهت به [illegible]نت

ـ الان [illegible] سر هذه الخلوة وهذ[illegible] التجلد وهذه الزينة ، انك عا[illegible]مة على الا[illegible]تحار

ـ وان صح ذلك فماذا على منه ؟

ـ ماعليك من حرج الا انك لم تتخذينى فيه شريكا

ـ اصحيح ماتقول . اتحبني الى هذا الحد ؟ وافرحتاه

ـ اقسم لك ان الموت معك هو عندى اهون من الحياة فى البعد عنك حتى انني ارى نفسى جاهلا معانى الحب امامك وكنت انت اعرف منى بمقداره حتى اضمرت ماارك عليه الان فمتى ترومين ان نموت ؟

ـ اليوم

ـ وكيف ذلك ؟

ـ ألم تقرأ قصة الفتاة التي ماتت مختنقة بروائح الزهر ؟

ـ نعم قرأت هذه القصة

ـ فهذه الطف وسيلة رأيتها لترك هذه الحياة ولقد تأملت فيها كثيرا وكنت اذكرها كل ماسكرنا بخمرة الحب والهناء فترتاح نفسى الى ان ارقد على مابي من الفرح ذاك الرقاد الذى لاألم فيه ولا خوف بعده من اليقظه وقد كدت اعرض ذلك عليك مائة مرة ولم اعمل ولما دهمنا ذلك اليوم المشؤوم الذى نقطعت فيه صلات اللقاء بيننا عزمت على ماعلمته الان من امرى عزما صادقا فقصدت عالما من علماء النبات وسألته عما يوجد في باريس من الازهار

النسامة الرائحة موهمة اياى انى اخافها واروم اجتنابها فكتب لى قائمة باسمائها زهرة زهرة وعلمت منه مقدار درجة الحرارة التى اذا وجدت مسها تلك الازهار كانت رائحتها قاتلة واخترت الموت على هذه الصورة لانها جميلة تمثل فتاة بارعة الحسن مكللة بالزهر . فتى فتحت هذا الباب ادخل هذه الغرفة ولا اخرج بعد ذلك منها . هذه الحقيقة قد ابنتها لك قضاء لحقك علي فان اردت موافقتى على مانويت ورأيت البعد اصعب من الموت فليس لى ان امنعك من ذلك لانك تحبني كما احبك وان متنا معا فقد حفظنا ما تعاهدنا عليه من عدم افتراق

ـ وكان فكتور ينظر اليها وهى تتكلم نظر العاشق الولهان بل نظر العابد الى المعبود ، جاثيا بين يديها مستسلما لكل تصوره الشهوة فى مخيلته ، فلما فرغت من كلامها صاح

ـ كيف لا اريد ما اردت ولا اقصد ما قصدت وهو احب الامانى الى فانى وقد فرق الوالد بيننا لم يبق لى من بغية الان نموت معا فنجتمع اجتماعا لا نخوف بعده من الفراق ولا انتظر الا ان تقولي فأفعل وتأمرى فامتثل

فالقت بنفسها عليه فضمها اليه وتعانقا عناقا كاد يفصل روحيهما عن الجسد من شدة الوجد ، فكانت هذه الدقيقة احسن واطيب

واشقي واعذب مامضى من حياتها الى ذلك اليوم ، ثم خطر للدكتور خاطر جديد فقال

ـ اروم ان اكتب الى ماري فاستودعها الله واودع والدي واولادي . آه واسفاه عليهم . وما الاسف لموتي فانهم لايفقدون به عظيما فاني لولاك لم اكن شيئا مذكورا ولو انفصلت عنك لاضعت ما بي من الذكاء والاقدام فصدت بليدا مستضعفا لا ارجو من الزمان مستقبلا حسنا

ثم نهض الى مكتب في الغرفة وتناول القلم فخط به اسطر الوداع الاخير لزوجته ، التي احبها في البدء ذلك الحب العظيم ، ثم هجرها ذلك الهجر الاليم ، فتأمل فيا سيناله بموته من الحزن واليأس ، فما تمالك ان بكى ، فنظرت اليه أليس وقالت

ـ ان كنت قد ندمت فان الوقت لم يفت يادكتور وانت حر ولا لوم عليك

ـ لست ابكي على نفسي ياحبيبتي ولكن عليها . لقد انقطعت الان عن الدنيا بأسرها ولم اعد أملك نفسي وانما انا عبدك المطيع فمري بما تريدين

الفصل الثاني عشر

على طريق الابدية

مضى عليهما بضع ساعات يتجاذبان اطراف الحديث ، وتمنيهما اقداح الاحداق عن كاسات المدام ، حتي اقبل الليل مسدول الجناحين ، هناك قالت المركيزة

ــ لقد حان الدخول الي غرفة الزهر

فنهضا اليها نشيطين وافتتحا بابها قليلا ، فهب عليهما من أريجها القاتل ماردهما عن الباب مكرهين ، فقال فكتور باسما

ــ ماهذا . أيليق بنا أن نخاف من الخيال ونفر قبل النزال .

ثم اخذ بيد المركيزة وادخلها الغرفة وهو يقول

ــ ما أحسن هذا القبر وكيف لا يحسدنا الاحياء علي الموت فيه بين الازهار

ــ صدقت واني لأري الموت حياة لنا . غير اني أرانا في ريعان الصبا ونضارة الشباب وفينا حسن بارع ولنا مستقبل لامع وكل ذلك لم يزل بقبضة اليد . ولكن لا . فان كل ذلك لا خير فيه ما لم يكن الحب ولا حياة في الحب مع الفرق . هلم ياحبيبي نطرب

على ذكر الحب لآخر مرة واسمع مني غناء يملأ قلبك طربا

وجلست الي البيانو فضربت عليه وغنت بصوت شجي ضربا من محاورات الغناء يقال له « الفافوريت » (وهو محاورة يغنيها اثنان على التعاقب) وكان فكتور يرد اجوبة المحاورة مجيداً فحسن غناؤهما حتى كان أشد تأثيراً علي القلب من ذي قبل ، وما ذلك الا لأن الانفعالات النفسانية كان وقعها على القلب اقوى من جميع الشهوات الحسية . ومضت عليهما ساعة من الزمن وهما على هذه الحالة ، ثم ظهر فيهما تأثير السم من رائحة الزهر ، وكل منهما لاه عن ألمه اهتماما بألم حبيبه فقال فكتور

ـ كيف انت ياأليس؟

ـ على أحسن حال. فقد و[illegible] الرقد . وانت كيف حالك ؟

ـ اني اراك وانعم بالقرب منك فلا يعوزني شيء

وبعد ذلك صمتا هنيهة حتى بلغ منهما التخدر مبلغا كثيرا فقال فكتور

ـ أنعمين براحة الروح منذ [illegible] على [illegible] الصورة المرسومة [illegible] الادوية [illegible] في مستقطر [illegible] ، وهذه هي وتلك الاطلال [illegible] لاقتطفها لاول مرة [illegible] في [illegible]

[illegible]

هدية وكانت اول مشاهدات الحب . آه ماابهي وابهج هاتيك الرياض والمراعي الغياض وقصرنا القديم وخطرات فكري بين تلك الغابات وأماني نفسي التي لم اكن ادركها والملك الكريم الذي حقق تلك الاماني . كل هذا اراه الان بعين التصور والخيال فهل تذكرين انت هاتيك الاويقات الصافية وما ادركنا بها من نعيم . وتلك المشاهد الناضرة والربوع الزاهرة ومازدانت به من المحاسن الباهره؟ ولعلك تذكرين ايضا اني منذ جمع بيننا ميثاق الحب في ذلك العهد ماخالفت لك امراً ولا أليت في طاعتك جهداً بل رعيت ودك وحفظت عهدك وما برحت اقيم الادلة على تدلهي فيك غراما حتى جعلت الموت في حبك لبراهيني ختاما وعاهدتك على ذلك فما نكثت وحلفت فيه وماحنثت

فأجابت وكان صوتها ضعيفا لايكاد يسمع

ـ نعم نعم اذكر كل هذا واني كنت سعيدة مليحة فتانة نضرة الصبا محبية الى الانفس جذابة للقلوب لا أجد من حولي الا محبا أتيمه بابتسامة وعاشقا أذيب فؤاده بالتفاتة وكانت حياتي كلها صفو وعيشي كله طرب فسمحت بكل ذلك يافكتور ولست نادمة عليه لانك احببتني حباً صادقاً

وحينئذ ضعف نور المصباح واخذ خفقانه بالاندفاء فقالت أليس

ـ لست ادرى ماالذى اعترانى . انى لا اكاد ابصر فكأنما على عيني غشاوة

ـ عما قليل لا نبصر شيئا فهذا لسان الضوء الضعيف ينذرنا بأنه مائت وانا تابعان له

ـ اواه لا اريد ان اموت في الظلمة يافكتور بل اريد ان تحدق عيناى بعينيك الي اخر نسمة من الحياة ثم اريد ان ارى هذه الازهار وانظر الى يدى والى محاسنى في هذه المرآة فأوقد المصباح وارفع نوره ليتسني لي رؤية كل ذلك

ـ لا فائدة ترجى من المصباح لان زيته قد نفذ . ولكن ماالقمر لا يضيء علينا وهو الليلة في تمه

ـ لقد ألصقت على زجاج النوافذ ستائر كثيفة حتى لا يدخل الغرفة شيء من الهواء فاحتجب بذلك عنا نوره فلا يمكنا رؤيته ولا رؤية شيء مما فى الخارج

ثم تنهدت تنهد اليائس ، فقال فكتور

ـ هل كتبت وصيتك يا أليس ؟

ـ نعم كتبتها انا ولى زوجى ولأخواتى ووضعت الوصية على مكتبى فى غرفتى

ـ وهل يعرفون مكانها الان ؟

ـ يحسبوننى سرت الى « لونيان » لاصرف النها روايت عند شقيقتى الكبرى

فأمسك هنيهة عن الكلام وقد اقترن حاجباه وانقبض جبينه لفكر طرأ عليه ثم قال

ـ وهل اخبرتهم فى رسائلك بعزمك على الانتحار ؟

ـ أخبرتهم تلميحا

ـ ولم ذلك

ـ لم يكن لى من قصد ـ

وهنا اشتد عليها الألم فقالت

ـ فكتور . انى ظمآنة ظمأ شديدا

فناولها كأسا من الشمبانيا كانت بالقرب منه فقالت

ـ لست اريد الخمر انما اريد ماء

فلم يجبها ، فشربت من الكأس واعادتها اليه ، فاراد ان يقبل يدها فجذبتها منه ولم تمكنه من تقبيلها ، ولبثا بضع دقائق ساكتين صامتين لا ينبثان ببنت شفة ولا يأتيان بحركة ثم قال فكتور

ـ أليس . . الله . .

فقالت وهى ساترة وجهها بيديها

ـ ويلاه من غضب الله . ولكنه غفور كريم

ـ لعله يعفو ويرحم

ـ حبيبي فكتور انى لم انم كما توهمت قبلا . لقد خدعني العالم النباتي فانى اكابد آلاما لاتطاق

ـ أترومين ان افتح الباب ليذهب عنك الألم ؟

ـ كلا .حتى لو اردت ذلك لما امكن لانى ابقيت المفتاح فى الخارج

ـ اذن مابرحت عازمة على شرب كأس الموت ؟

ـ الى آخر نقطة منها

ـ ألا تندمين حين لا يعود ينفع الندم ؟

ـ كلا لست بنادمة و لكن قد اشتد على الالم

ـ وأنا

وكانت أليس تتقلب على المقعد مما نالها من نفح السم ، وفكتور بين يديها ينظر اليها متألما صامتا ويمسح من حين الى آخر ما كان يقطر من جبينه وسائر وجهه من عرق الالم ،ثم انطفأ المصباح فقال

ـ اللهم عفو . اللهم عفو

ـ أواه أواه . هذه بداءة الموت

قالت أليس ذلك وطفقت تبكى كالاطفال ،وهو لبثها صامت يحتمل من السم وحرارة الحمى عذابا دونه عذاب الجحيم ، ثم قالت

ـ فكتور فكتور. هذه آلام مرة المذاق. هذا عذاب لا يطاق آه ما اصعب الموت . آه ما اشنعه

ـ نعم انه من الصعب ان يموت المرء في ريعان شبابه . آه ياماري ويا أولادي ويا والدي

ـ هل تولاك الندم ؟

ـ نعم ندمت ولا غرو فانهم يحزنون لاشك علي. آه وأأسفاه عليك ياماري . يا ملكا كريما

ـ ويلاه رباه انه لم يزل يذكرها

ـ ان ذنبي اليها لعظيم وهي ستموت لموتي لامحالة

ـ انه يعيد ذكرها متأسفا عليها وانا أكابد عنائي واكتم أني حتى لا أورثه غما ثم أراه مشتغلا بغيري وبها مهتما

ـ اتحسدينها على ان اذكر ذنبي اليها بعد ان رضيت بالموت بين يديك ؟

ـ ويلاه ويلاه . لقد تراكمت الآلام

واستخرطت بالبكاء ، ثم قالت بعد فترة طويلة

ـ فكتور فكتور . لقد عدلت عن عزمي فلست اريد الموت

ـ قضي الامر وجف القلم يا أنيس

ـ كلا لم يفت شيء ولم يقض امر ولم تزل الحياة قريبة المنال

اذ لا يعوزنا الا شيء من الهواء . فافتح النافذة ناشدتك الله

— لا يمكن ذلك ولا بد من الموت

— لست اريد الموت : لست اريد الموت . أأموت وعمري عشرون سنة وكل ما حولى يبتسم لى . فالثروة ترفعنى مكانا عليا والجمال يلبسني ثوبا بهيا والناس يتهافتون علىّ نوال ابتسامة مني . لا . لا أريد الموت . لا أريد الموت

— لا بد منه ولا مندوحة عنه

— اذن تروم ان تقتلني صبرا وكان حبك غدرا ومكرا ؟

— كلا ليس ذلك بل هذه عاقبة جنوننا فذوقي ما كسبت يداك

— صدقت لقد كان ما فعلناه جنونا فقد كنا نستطيع الصبر علي ما تقضي به علينا من الفراق ثم نتناسي فنسلو نينفتح لكل منا باب جديد من الهناء لان الدنيا كما ان نعيمها زائل كذلك بؤسها غير مقيم وقد رأينا العبرة بأنفسنا فلنعتبر الان وعفا الله عما كان

— لا فائدة بالعبرة فيومنا ليس له من غد

— لا تطل المزاح واكسر زجاج هذه النافذة ليدخل الهواء فتعود الينا الحياة كما عاد الينا الرشد والهدى

ـ لا أكسره ابدا

ـ اذن انا اكسره

فاخذ بيدها أخذ القوي المقتدر وقال

ـ لن تبرحي مكانك

ـ عدمتك من لئيم غادر تستعلي بقوتك الوحشية على الضعيف . دعني فلست اريد ان أموت من اجلك ولا معك فقد ابغضتك نفسي

ـ وانا ابغضتك ايضا اذ انت التي اوصلتني الى هذا الموقف انت التي قتلتني وهدمت سعادتي ولولاك ولولا دهاؤك لكنت لي اليوم سعيدا شريفا في بلدي بين آل بيتي فلك الخزي وعليك اللعنة

فاجابته ونار الالم تحرق احشاؤها والسم يتمشى في مفاصلها

ـ لقد كرهتك لقد كرهتك فانت ابغض الناس الي ياللمروءه اسعفوني بقليل من الهواء اني لا اريد ان اموت

ـ بل تموتين . اني آليت ان لا اتساهل معك في شيء اذ قد ابيت الا ان اترك احبائي المخلصين من اجلك ففعلت ولكن الان زالت الغشاوة عن بصري فرأيت مالم اكن أرى وعليه فانا لا امنحك الان شيئاً مما تريدين لانني لا ارضي ان اكون اضحوكة للناس يستهزأون بي ويقولون : هذا هو الذي وطن نفسه على الموت مع خليلته ثم غلب عليه الجبن وضعفت نفسه ففر من الموت . لا لن يكون ذلك

ـ وماذا علينا من استهزاء الناس. وهل نترك الحياة من اجل هذا ؟ . اليس قولهم الف مرة هرب اخزاه الله خير من قولهم مرة واحدة مات رحمه الله ؟ . الحياة الحياة. لابدلي من الحياة

ـ لا سبيل اليها فقد اخترت الموت فموتي

فتوقدت نار الغيظ في قلب أليس فعاد اليها شيء من قوتها الزائلة فحاولت النجاة من يد فكتور لتفتح النافذة ، الا انها لم تقو على التملص من يديه ، فدانت لقوته وسقطت فاقدة العزم غائبة الرشد . ولبث فكتور يقاوم الالم بقوته الهرقلية ، ويدافع حب الحياة بما بقي له من القوة الفكرية هنيهة من الزمن ثم صاح

ـ ماري . ماري . صلي لاجلي . ربي اسألك الرحمة والمغفرة

فقالت أليس

ـ جاء الرقاد المنتظر . فهذه النهاية . اواه لعنت ولعنت الساعة التي عرفتك بها

واغمضت بعد ذلك عينيها ولم تتحرك ، فمسها فكتور فاذا هي كالجليد فقال في نفسه :—

لقد ذهبت في سبيلها وجاء دوري

ثم اطلق عنان فكره في مجال الخيال ، فتصور كل عزيز لديه سيتركه في هذه الدنيا ، حتى كأنما هو حاضر امامه ، وذكر ايامه

السالفة فى بواتو بين الوادي والغاب والروض والغدير ، ومن العجب انه لم يذكر الفتاة المنطرحة بين يديه بلا حراك ، ولم يشعر فؤاده بشيء من الاسف عليها ، لانه قد حل بغضها فى قلبه ، كان لحب العظيم ، بسبب ما رآه من جبنها ورداءتها عند الساعة الاخيرة من حياتها

ثم اشتد عليه الالم وشعر بحرارة السم تسرى في جسمه فصاح واولداه . . واشوق اليكم

ثم استولى عليه التخدر والدوار ووهنت ركبتاه عن حمله ، ولكنه لم يفقد رشده فى الحال ، بل بقي مبصراً مميزاً ما حوله يستغفر الله ويسأله العفو والرحمة ، حتى غلب عليه الألم وحرارة السم فسقط تحت قدمى معشوقته فاقداً الرشد



الفصل الثالث عشر

قلق ماری واضطرابها

لم ننس ان فكتور لم يكتم عن زوجته خبر مسيره الى اوتوبل تلبية لدعوة المركيزة الحسناء ، بل اطلعها على الامر واوقفها على رسالة الدعوة ، فلم تمنعه عن اجابتها ولكنها لم تلبث بعد مسيره ان اعتراها القلق والخوف من حيث لا تدرى له سببا ، فقصدت الكونتيس سرزول صديقتها الامينة فى منزلها لتقص عليها ذلك الخبر وتأخذ رأيها فيما تفعله ، ولما دخلت عليها رأت الكونتيس على وجهها علائم الاضطراب فقالت لها

ـ ماوراءك ايتها العزيزة وما سبب اضطرابك ؟

ـ لقد اصبحت بمنتهى اوج السعادة والهناء بعد ان ردت الى العناية الربانية زوجي غير اننى لا استطيع ازالة الاضطراب من نفسى لحادث جديد وقع وتريني بسببه بغاية القلق ولا ادري لذلك سرا

ـ وما هذا الحادث يابنيتى ؟

ـ لقد سار فكتور الى اوتوبل

ـ ولماذا ؟ وكيف ذلك ؟

ـ سار ليلقى المركيزة ويودعها الوداع الاخير

ـ يودعها الوداع الاخير ؟! . .إسمعي مااقوله يابنية .انت ذات صبر وجلد خارق للعادة وقد احتملت من صنوف العذاب مالا يحتمل فلا يليق بك الاغترار في مثل هذه الحال . فاعلمى ان زوجك وعشيقته ان تلاقيا اليوم للوداع فانهما يجتمعان غدا لتجديد عهد الحب ولو كنت من اهل الاختبار باحوال حوادث الغرام لعلمت ان الوداع الاخير انما يكون لا ليودع الحب حبيبه بل ليجدد معه مواثيق الغرام فتدرعى بالصبر ايتها العزيزة واتقى به الغم فما انقضى شيء مما تأملين

ـ كيف يكو ذلك وقد اقسم لى الايمان المغلظة وكتبت له هي بذلك

ـ كل هذا ممكن ولا اقول عنه شيئا وانما إسألك هل تلاقيا فان كان ذلك فالامر ما اوضحت لك

ـ وهل تظنين فكتور من اهل الخديعة ياسيدتى ؟

ـ كلا ولكنه هو مخدوع مغرور : انه سار من المنزل بنية صافية مقتنعا بانه لن يرى المركيزة فلورين بعد اليوم مكابدا اشد العذاب من ألم الفراق موقنا بانه اقوى من ان يغلبه ميل نفسه . فلما يراها فى اللحظة الاولى ينسى كل هذا ولا يذكر سوى الحب

ـ اذن يحبها حبا عظيما

ـ مثل حب سائر الناس · والحب وان اختلفت مظاهره فى الزيادة والنقصان فان نتائجه متشابهة الا مدة البقاء فان طولها وقصرها منوطان باحوال الزمان واحكام الايام وبما يكون فى المشيقة من الذكاء والدهاء

ـ انه لم يحبني الا مدة قصيرة جدا

ـ ذلك ناشيء من وداعة حالك وحدة طباعه فلم يكن بامكانه ان يحبك اكثر من ذلك فى اول الامر لانك زوجته فلم يحل من دونك مانع ولا يحدث فى امرك حادث بل كان شأنك واحدا علي اختلاف الايام فلزم ان يكون لهذه الحالة نهاية. انه كان واسع مجال الخيال متوقد الذهن غير ان رماد السذاجة قد غطى جمر ذكائه فلم يكن يستطيع المقام فى دير قديم بيواتو لدي صغار يبكون وشيخين وقورين وامرأة ذات احتشام بل احتاج الى ما يذهب عنه الضجر وتمنى لو يلقى من يخرجه من سذاجته الفطرية الى مسارح الاجتماعات العالمية ولم ير المركيزة فصودين توقع فى شراك بغي من بنات الهوي يحسبها على سذاجته ملكا هابطا من السماء عنيا بتسليته وهناك تكون الطامة الكبرى لانها تبدد كل ماله بطريقة الانفاق عليها بالصورة التي تعجز اعظم الموسرين المتمولين عن سد احتياجات

هذه الفئة الضالة فكان من رحمة الاقدار ان وقع فى هوى هذه المركيزة التي لم تكلفه سوي نفقات نفسه ولقد اخذ الآن في الرجوع الى رشده وسوف يبلغه بعدحين فلا تيأسى من رحمة الله

ـ ارجوك ان تأذني لي في البقاء عندك مدة غيابه فقد اوصيتهم فى المنزل ان يعلمونى فى الحال متى رأوه مقبلا سيما انني لاأريد ان أرى الاولاد وانا على هذه الحالة فان رؤيتهم تضعف عزمي فلا اتمالك ان اذرف الدمع وهم وارحمتاه لهم يسألونني عن سبب بكائي ولا اقدر ان اجيبهم

ـ علي الرحب والسعة نتناول العشاء سوية ونصرف ماشاء الله من الليل مما فاني اعرف عذاب الريب ومقدار مايدخل من السرور علي قلب من يلقي له صديقا امينا يبسط له امره ويكاشفه سره فيرتاح بذلك حتى كأنه القى عليه شيئا من همه وقاسمه بؤسه وغمه

ـ حقا انك لملك كريم ارسلك الله لهدايتي ووكلك بحمايتي ولولاك لمت كمدا ويأسا . وماذا ترين الان ألا يعود عما قليل ؟

ـ وارحمتاه لسذاجتك انت مابرحت غير عالمة بما تؤثر الشهوات في النفوس

ـ كيف ذلك وانا احبه حبا لايحتمل الزيادة . أفليس هذا

الحب من تلك الشهوات التى تؤثر فى الانفس تأثيرا شديدا

ـ لان حبك مشروع لاحاجة فيه الى التكتم ولا محل للخوف والمحاذرة منه ثم ان عذابك فيه يتضمن عذوبة العلم بانك انما تقضين واجبا وليس الامر كذلك فى الشهوات

ثم دخل الليل ولم يأت مارى خبر عن فكتور، فاشتد اضطرابها وجاءت تحت بأن سول عنى ر الرسوب ن منزلها ، ولا يأتيها أحد بنبأ شاف فقالت للكونتيس

ـ لم يأت ياسيدتى . لم يأت

ـ ن رمت معرفة ماأراه فى الامر فاعمى انى لا اظنه يعود الليلة فان للحبيبين حديثا طويلا بعد الافتراق

ـ لعلك ردت ن ترى بعد الافتراق

ـ كلا انهما لا يفترقان كما تظنين و ن كنت فى ريب من ذلك فسوف يثبته لك العيان يابنية

ـ آه . اواه . ماأصعب ماتنذريني به من هوله

ثم اشتد بها الامر فاسترسلت فى البكاء حتى رق لها قلب الكونتيس المجوزفة ـ

ـ خففى عنك يامارى فلا بد بهذه الحالة من آخر

ـ تظنين انه لا يعود الينا فوالله ان امرا كبيرة سورين

أيمكن ان لا تعود الى منزلها ؟

ـ انها امرأة من اللواتي لا يفوتهن شيء من اسباب الاحتراس والاحتياط فلا شك انها تداركت امرها واخترعت حجة لتغيبها عن المنزل في هذه الليلة

ـ وما القصد من ذلك يا ترى ؟

ـ يداخلني بعض القلق من جهتها

وكيف ذلك ؟

ـ ذلك ان الاحوال الحاضرة موجبة لتوقع المكروه من كل وجه ولذلك اخاف ان يكون اليأس قد حملها وفكتور على شيء من الاعمال البالغة حد الشطط

ـ ما العمل . ما الراي . ما التدبير ؟؟

ـ أرى اولا ان ترسلي الي منزل المركيزة فلورين من يسأل عنها هل هي فيه وان لم تكن هناك فمتى تعود . وليس بغريب صدور هذا السؤال منك بعد حادثة غرفة فكتور ولا سيما ان كان المركيز فلورين يعتقد ان بينك وبين زوجته صداقة موثقة العرى

فارسلت ماري خادمها يسأل عن المركيزة فقيل له انها ذهبت لزيارة شقيقتها في لوسيان ولا تعود الا صباح الغد فعاد وانبأ ماري بذلك فقالت الكونتيس

ـ لقد كنت على يقين من انها تتدارك الامر ولا تعدم حجة تخترعها للغياب من منزلها هذه المدة فلننتظر الى غد. ولكن الاولى ان نذهب الآن الى اوتويل فهل تريدين ذلك؟

ـ أخاف ان لا يغتفر لى زوجى هذه الجرأة

ـ اذن ننتظر

ومرت الساعات حتى انتصف الليل فقالت مارى

ـ لا بد لى من الرجوع الى منزلنا ياسيدتى فقد يئست من ان اراه الليلة ولا استطيع ترك الاولاد اكثر من ذلك وسأدعو الله واسأله الرحمة والسلامة ولا ألتمس المعونة الا من كرمه العميم انه جواد كريم

ـ أسير معك يابنيتى العزيزة فانى وان كنت عجوزاً فمازلت أقوى على احياء ليلة من الليالى

قالت ذلك وخفت لمرافقة مارى فاصدرت امرها بتجهيز المركبة واستقلتاها فسارت بهما على عجل ومارى مطلة من النافذة تنظر الى كل من يمر بها وتحسب كل من تراه فكتور ، والكونتيس تقول فى نفسها : ـ

وا أسفاه عليها انى ارق لها واعلم ان كل واحدة من النسا

لابد من ان تصاب مثل مصيبتها ولو مرة فى الحياة

ولما بلغنا منزل فكتور طارت مارى الى الخدم ، تسألهم عما عساه ان يكون عندهم من خبر عن زوجها ، ولما علمت انه لم يأت عنه خبر ، سقطت على مقعد بالقرب من الموقدة ، وجلست الكونتيس الى جانبها صامتة لاتجد ماتحدثها به ، واستولى السكون على الغرفة فلم يسمع الا حركة المركبات العائدة بالمتأخرين من اهل الرقص ورواد الحانات والنوادى ، ومارى تتبع حركة كل عربة تصغى اليها على امل أن تقف بالباب ، الى ان تبتعد وينقطع صوت صداها فينقطع املها ، فتعود الى حالتها من القلق والاكتئاب والخوف والاضطراب

وفى تلك الساعة قرع باب المنزل ففتح ، وصعد الداخل السلم وقرع البـاب الداخلى ، فصاحت ماري صيحة فرح قائلة : ـ

هو هو !!

ونهضت لتلقاه عند الباب فاستوقفتها الكونتيس وقالت لها

ـ مكانك . دعيه يأت اليك فلربما كان فى حالة لايستطيع معها لقاءك

فامتثلت وجلست تصغى الى حديث المتكلمين عند الباب فى غرفة المدخل ثم صاحت

ـ واخيبتاه هذا صوت امرأة

واسرعت الى الباب ففتحته فرأت المركيزة درميل والدة المركيزة الحسناء ، وعند ماابصرت ماري ابتدرتها بالكلام قائلة

ـ عفوا ياسيدتي عن قدومي اليك في مثل هذا الوقت غير ان الامر فوق طاقتي وعذري فيه واضح. لقدعلمت انك تنتظرين رجوع المسيو ديلار فهل تريدين ان تخبريني بمكانه ؟

ـ ولم تسأليني هذا السؤال ياسيدتي ؟

ـ لو كان المعترض غيرك من النساء لما علمت كيف اجيب ولكنك انت من جبلة غير جبلتهم فانك صافية القلب طاهرة السريرة كملائكة السماء ولذلك اخبرك انني ابحث عن ابنتي واعرف انها توجد حيث يكون المسيو ديلار

ـ انبأوني ان المركيزة فلورين عند شقيقتها في لوسيان

ـ اني قادمة من هناك وقد سألت عنها فلم يعلموا لها خبرا فعدت الى المنزل فرأيت على مكتبها رسالة باسمي تقول فيها انى لا أراها البتة وانها لا تقدر على فراق المسيو ديلار فنالني من جراء ذلك قلق لامزيد عليه فجئتك فناشدتك الله ان تخبريني بمكانهما

ـ هما في اوتوبل

ـ وهل انت على يقين من ذلك ؟

ـ لاشك فى ذلك ولا ريب

فقالت الكونتيس

ـ هذا ما كنت اخشاه وأحاذره فقد هربا معا لا محالة

ـ حبذا ماتقولين ياسيدتى واني اسأل الله تحقيق ظنك

ـ ما معنى ذلك ؟

ـ اني لا اخاف عليهما من الهرب وانما اخاف من الموت فان ابنتى تطلبه ولا تهابه بما اعلمه فيها من حدة المزاج والتهاب الفكر وحبها العظيم لفكتور

فصاحت مارى بصوت يتهدج من الانزعاج

ـ الموت . الموت . وبلاه وامصيبتاه طيروا بنا الى اوتوبل

الفصل الرابع عشر

اتحاد العاشقين

لم تنتظر مارى لتلقى على كتفيها شالا يقيها البرد، بل اندفعت في الحال الى السلم طالبة باب المنزل ، وتبعتها الكونتيس والمركيزة درميل فركبن العربة ، وصاحت مارى بالسائق

ـ الى اوتوبل . الى اوتوبل. انهب الارض واقتل الخيل ركضا فاطلق للجوادين العنان فسارا متباريين كأنهما فرسا رهان وكانت المركيزة درميل قد عادت الي حديث رسالة أليس ، وما فيها من الالغاز والاقوال المبهمة ، وكيف انها ودعت آل بيتها من غير ان تظهر حقيقة الامر او تورد كلمة تدل على المكان الذى تقصده، هذا ومارى لم تكن تعي شيئا من هذا الحديث ، بل كانت مشردة الفكر ضائعة الرشد ، حتى وقفت العربة امام باب الحديقة فوثبت من نافذة المركبة ولم تنتظر ان يفتح السائق بابها

كان [illegible] شاملا المنزل لا تسمع منه صوتا ولا حركة ، فعمدت مارى تشد سلك الجرس بعنف وقوة ولا تسمع جوابا فقالت الكونتيس

ـ لقد رحلا وما في المنزل من احد

فصاحت المركيزة درميل

ـ بل هما في المنزل فايقظوا أقرب حداد الينا يفتح هذا الباب

وكانت ماري مستمسكة بسلك الجرس تهزه هزا متداركا غير متنبهة لشيء مما حولها حتى عاد السائق بالحداد واقتلع اقفال الباب ، فدخلوا المنزل وماري في المقدمة تعدو عدو الصغار ، من غرفة الى غرفة ومن مكان الى آخر بلا نور ولا دليل ، وتنادي فكتور باعلا صوتها ولا تسمع جوابا ، ثم جيء بالشموع وقد اضيئت وأخذت المركيزة درميل والكونتيس العجوز ، تجوسان خلال الاماكن والغرف ، فرأتا غرفة النوم ومكان البلياردو وباقي الغرف كلها خالية ، ثم فتحتا غرفة بداخلها اخرى فهب عليهما اريج الزهر بشدة استوقفهما ، وصاحت المركيزة درميل

ـ انهما في هذا المكان

وأشارت الى الغرفة الداخلية واردفت

ـ افتحوا الباب وان كان مقفلا فاقتلعوه

ففتح الباب بسهولة لان مفتاحه كان من الخارج ، واندفعت ماري الى الغرفة فرأت المركيزة فلورين ملقية على المقعد وفكتور تحت اقدامها ، وهما كالجليد وليس فيهما حراك فصاحت

ـ طبيب . طبيب . احضروا طبيبا فلعلهما لا يزالان بقيد الحياة

وقالت الكونتيس

ـ اكسروا زجاج النوافذ وافتحوا مجاري الهواء فان رائحة هذه الغرفة قاتلة

ففعلوا ما أمرت به الكونتيس ودخل الهواء النقي الغرفة طاردا اريج الزهر منها ، وأسرع السائق لاحضار الطبيب ، هذا وقد اعتنقت ماري زوجها باكية خافقة القلب وهي بين الرجاء والخوف ، فكانت تبل وجهه بدمعها وتدعوه بارق اسماء المحبين فلا تسمع منه جوابا ولا تشعر منه بحركة ، ثم حملت المركيزة ابنتها الى السرير تعتني بها ، ولم تبرح ماري معانقة زوجها حتي جاء الطبيب وأخذ في معالجة المريضين بكل ما اوتي من معرفة ، وقد نقل كل منهما الى غرفة . ومضت علي ذلك ساعة ولم يبديا حراكا ، فازداد قلق ماري وسألت الطبيب عن رأيه ، فلم يكن جوابه شافيا فأخذت تضرع الى الله قائلة

ـ ربي جد عليه بالعافية واجعلني فداءه

وما برحت تردد قولها هذا وما معناه وتقدم صلواتها الحارة الى الله تعالى ان يرأف بها وبأولادها برهة وجيزة ، واذا بالطبيب قد فاجأها يقول

ـ سيشفى ياسيدتي بحول الله ولكن ربما احتاج الى العناية

الزائدة والملاطفة التامة مدة طويلة من الزمان

ـ لك الشكر . لك الشكر ياسيدى ولو وهبتك حياتى لما كان ذلك وافيا بحقك على

وكذلك المركيزة الحسناء اخذت في العود الى الحياة ايضا ففتحت عينيها ووالدتها جاثية بين يديها ترقب حركاتها وسكناتها فكان هذا المنظر مما تلين له القلوب. اما الكونتيس فانها لم تخرج عن طورها المألوف ، ولم تتنازل عن شيء من وقارها المعروف بل جلست على متكأ فى الغرفة تراقب مايجري بانتباه ، متداركة ماتذهل عنه مارى والمركيزة درميل بما فيهما من القلق ، وقد ظهرت لها النتيجة بتمامها فكانت تبتسم فى سرها ؛ ثم قالت لمارى

ـ احمدى الله ايتها العزيزة واجب الحمد فقد رد اليك فكتور مرتين وليطمئن قلبك فقد اصبحت فى مأمن من المناظرة والشريكة فى حبه

ـ أتقولين حقا ؟

ـ لاريب في ذلك فان رجلا مثل زوجك قد يصبر على كل شيء الا السخرية فان عاد بعد الان الى محبة المركيزة فعندئذ لايخلو من السخر وازدراء الناس

واخذ فكتور فى الرجوع الى الرشد شيئا فشيئا وقبل المركيزة

الحسناء ، ولما امكنه الكلام قال

ـ اين انا ؟

ولم يلبث ان رأى زوجته امامه فصاح فرحا

ـ ماري . ياعجبا . اللهم لك الحمد فقد رأيتها مرة اخرى

ـ مهلا ياعزيزي وارفق بنفسك فعما قليل نتحدث فاهدأ الان لانك محتاج الى الراحة المطلقة

ـ صديقتي . حبيبتي . العفو . المغفرة

وألقت يدها على شفتيه بلطف ليسكت فلا يزعجه الكلام وقلبها يرقص فرحا لاتدرى كيف تعلن سرورها وسعادتها ، وهو يجيل نظره فى المكان الذى هو فيه ، ثم قال بصوت منخفض

ـ احب ان انتقل من هذا المكان

فاجابه الطبيب

ـ عما قليل يتيسر لك ذلك ياسيدى اما الان فان كنت تود الحياة فلا بد لك من ملازمة الصمت والسكوت التام

ولما سمع كلام الطبيب نظر الى زوجته وقال

ـ أتريدين ياماري ان احيا ؟

ـ جعلت فداك اني لا احتمل بعدك ولا اعيش بعدك

ـ اذن سأصمت ايها الطبيب

أما أليس فلما عاودتها الحياة وعادت الى حالة الرشد، ضجت باظهار الفرح العظيم ، وترامت على امها تعانقها وتمرح ماشاءت الخفة ، فنهاها الطبيب ومن حولها عن الحركة والكلام وقالوا لها

ـ ان لم تلزمي الصمت والسكون فلا سبيل لك الى الشفاء

ـ ان كان لابد من ذلك في حصول الشفاء فانى ممتثلة ما تأمرون

وكانت مارى تتوقع ان يتفاوض الحبيبان فيما مر بهما وما صارا اليه ، فكانت تبذل المجهود لاجتناب ذلك مخافة ان يزعج الكلام زوجها ويتعبه ، ألا انها لم تستطع منع رؤية بعضهما اذ كان للغرفتين اللتين اقاموهما بها ، باب يصل احداهما بالاخرى وكان مفتوحا لجلب الهواء الذى لابد منه لراحتهما ، وعليه لما افاقت المركيزة فلورين دنت مارى من زوجها ، فقبلته وكاشفته فى ضمن تلك القبلة ما تخاف ، فصمت واكتفي بالسكوت جوابا . وكانت الكونتيس تنظر اليها متتبعة حركات اثنيهما ، فلما صمت فكتور ابتسمت وقالت لمارى

ـ انه غير مبال بما وجدت منه خوفا وقد استوى عنده حضورها وغيابها فان الحب الذى كاداه قد مات من قلبيهما فلم يذكره حد منهما قط . وانما يليق بالشعراء ذكره لانه من ظريف

معاني الشعر موت الحب تحت الزهر

قالت ذلك لانها لم تكن تعلم ما كان بين الحبيبين قبل الغيبوبة ، وفعلا حصل ماتنبأت به العجوز ، فلم يكن بين فكتور وأليس عتاب ولا حديث ، بل انفصلا من غير كلام ولا خطاب وحمل كل منهما الى منزله واقاما حينا من الزمن يمرضان ويداويان حتى حصل لهما الشفاء التام ، فقالت المركيزة الحسناء لامها ذات يوم

ـ اماه لقد كفاني مارأيته عبرة وشفيت من داء الحدة والطيش فلست متعدية بعد اليوم حدود الرشد والحكمة

ـ نعم ماتفعلين يا ابنتي وانا قد عزمت على بيع قصرنا في بواتو حتى لا نذهب اليها أبدا ولا نسمع بذكر اسرة ديلار

وكذلك فكتور كان على مثل حالة المركيزة من السلوي والنسيان

الخاتمة

فى صباح يوم من شهر ابريل قد راق سماؤه واعتل هواؤه وتألق بأشعة الشمس ضياؤه ، اقبلت الكونتيس سرزول الى منزل فكتور زائرة ، فرأته جالسا بالقرب من زوجته مارى وأولادهما يلعبون أمامهما على بساط الغرفة مغتبطين ، وطيور الربيع تغرد فى الحديقة فتذهب الاشجان ، فطابت نفسها وقرت عينها بما رأت ، فجلست تتأمل فى محاسن هذه الهيئة المنزلية ، ثم قالت لفكتور وزوجته

ـ لقد افادتكما نصائحى خيرا عظيما فهل لكما ان تقبلا منى هذه النصيحة الاخيرة ؟

فقال لها فكتور

ـ وما هى ؟ تكلمى ولك الفضل

ـ لابد من رجوعكما الى برانو فقد اشتهرت حادثة او توبل واخذ الناس يتحدثون بأمرها واصبح اسمك يافيكتور مضغة فى افواههم فلست تقوى على الثبات بعدها فى باريس فقد احرج موقفك

فقالت مارى لزوجها

ـ ماقولك في هذا الرأى ؟

ـ هذا جل مبتغاى وغاية ما أريد فقد عظم شوقي الى المنزل الاول فما اذكر الا حدائقه ورياضه ومنتزهاته وغياضه والغدير واشجاره والحقل وازهاره كما تصورتها والموت نصب عيني سيما وان المقام بينك وبين أولادنا ووالدينا في تلك الاماكن الهادئة الشائقة لهو السعادة الحقيقية وكل ماسواه من لذة هذه الحياة فهو باطل كاذب كالسراب يحسبه الظمآن ماء ثم لايجده شيئا

ـ واين تترك ذاك الطمع ؟

ـ لقد مات الطمع ولم يعدله من مرجع

ـ وذ كاءك المتوقد

ـ جعلته وقفا عليك . فهلم نسافر

فقالت الكونتيس

ـ بارك الله فيكما ياولدى . وانت يافكتور بقى لك عندي نصيحة واحدة وهي اياك وكثرة الهواجس

ـ لاتخافى على من ذلك ياسيدتى فلا اهجس واللذة الحقيقية لدى

* * *

بعد سفر فكتور وآل بيته الى بواتو أخذت الكونتيس سرزول وماري تتراسلان ، فعلم فكتور من مراسلتهما ان المركيزة الحسناء اصبحت من المتحرزات ، ألا انهاما برحت شديدة الحرص علي الزينة والتبرج ، وقد تناست فكتور فلم تذكره البتة ، إما خجلا مما وقع لها واما سلوا . هذا وقد أقام ببلده بين زوجته ووالده وأولاده ، منقطعا الى الاهتمام بشئونه الزراعية ، متمتعا من حب ذويه بنعيم مقيم وهناء عظيم ، فكان اذا ذكر ماضيه ضحك منه ، وان نظر الى مستقبله ابتسم له ، وأن تأمل حالته الحاضرة سر سرورا لامزيد عليه

(تمت)

باردليان وفوستا

فى اسبانيا

لم يبق احد من قراء الروايات الا وعرف بارداليان وفوستا، وقد نشر لهما الكاتب القصصي الفرنسي الشهير ميشيل زيفاكو، روايتين تفصل تاريخ حياتهما، ومنشأهما وما فطر كل منهما عليه من الاطماع وحب الرفعة، في أواخر حكم آل فالوا من ملوك فرنسا واوائل حكم البوربون. وكان لمحاصلة كبيرة فعالة بانتقال الملك من العائلة الاولى الى العائلة الثانية، حتى بلغ من جرأة فوستا ان اغتنمت هذه الفرصة ونهضت بقوة المال والدهاء، تطالب بتاج البابوية لنفسها منازعة البابا سيكست كنت سلطته وعرشه، لولا ان وقف لها بارداليان بالمرصاد وأحبط جميع مساعيها، وقد عرب تينك الروايتين الكاتب الناثر البليغ فقيد النثر والنظم طانيوس عبده، وطبعتا اكثر من مرة وقد سمي الاولى باسم ذلك الفارس الشجاع بطلها البالغ من الـ ... اسطرة سيفه كل فارس في عصره «بارداليان» وسمي الثانية باسم تلك الداهية من حازت ابلغ درجات الحسن والجمال، وامتلكت عنان الحزم والجرأة والاقدام «فوستا» وقد انتهت هذه الرواية الاخيرة عندما قتل هنري

الثالث ملك فرنسا من آل فالوا ، واستلم زمام الملك هنرى الرابع البوربونى وباريس تحت الحصار ، وعليه اتبعهما المؤلف برواية ثالثة دعاها « بارداليان وفوستا — فى اسبانيا » تشرح أعمال فوستا بعد ما أخفق مسعاها فى نوال عرش البابوية ، فنهضت تسعى لاسقاط هنرى البوربونى عن عرش فرنسا ، وتزلف اليه فيليب الثانى ملك اسبانيا وتزوجه ، لتضع على رأسها تاج المملكة المزدوج ، الا وهو تاج فرنسا واسبانيا معا ، ولم يحبط مسعاها الآخر الا ذلك البطل الشديد والفارس العنيد بارداليان الشهير فكانت نتيجة أعماله تثبيت قواعد عرش هنرى دى بوربون ، وفشل فوستا . وعليه تكون هذه الرواية متممة لحوادث الروايتين السابقتين ، وقد عزمنا على زفها الى القراء الكرام بما عهدوه فينا من الجد والنشاط فى سبيل مرضاتهم ، وسيصدر العدد الاول من هذه الرواية الفريدة فى بابها ، والوحيدة فى مدهشات وقائعها فى أوائل شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٢٧ فنلفت اليها الانظار

حكم مأثورة

من لم يعتبر بحوادث الزمان فلا ينفع فيه وعظ واعظ ولا زجر زاجر.

من لم يستفد من الامور التى تحصل في دنياه كان الضلال أولى به من الرشد

الذى يقيس احواله المستقبلة على احواله الحاضرة عرف البعيد بواسطة القريب فعمل على تجنبه ان كان سيئا وعلي اتباعه ان كان حسنا مرضيا.

ان لكل انسان قدرا فمن تجاوز حده انقلب الى ضده فعجز عن التقدم وساءت حالته.

ليس للانسان من ماله الا ما انفقه في سبيل البر والخير. أما ما جمعه واقتناه في خزائنه فلا ينفعه بشيء وربما ضره.

العاقل من يحسن سيرته ويحكم أمره اذ الانسان هالك ولا يبقي غير ذكره وسيرته فاجتهد أن تكون سيرتك حميدة يحفظها الناس لك.

لم يبلغ احد مرتبه الا بأحدى ثلاث اما بمشقة تناله فى نفسه واما بوضيعة فى ماله أو وكس فى دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب.

يجب علي العاقل ان يصدق بالقضاء والقدر ويأخذ بالحزم ويحب للناس مايحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره.

المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته فى أعين الناس واستغنائه عما فى ايديهم وصرفه فى وجوهه من صلة رحم والانفاق علي ولد والافضال على أخوان . فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا وإن هو أحسن إمساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين من دنيا تبقي عليه وحمد يضاف اليه . ومتي قصد انفاقه على غير الوجوه التى علمت لم يلبث ان يتلفه ويبقى على حسرة وندامة

ان الخيانة شر ماعمله الانسا والمكر والخديعة لايؤديان الي خير وصاحبهما مغرور أبدا وما عاد وبال البغى الا علي صاحبه.

قال بعضهم

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده اضاع وقاسى امره وهو مدبر

ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الامر الا وهو للقصد مبصر

فذاك قريع الدهر ماعاش حوله اذا سد منه منخر جاش منخر

لم يتصدق متصدق بصدقة هي اعظم اجرا ممن أمن نفسا خائفة وحقن دما مهدورا

التوامان الشبيهان

شارلى وفرنك تارى

سبق ونشرنا لهذين التوأمين الشبيهين جملة قصص سواء فى مطبوعاتنا أو في المجلة وآلان نقدم لقرائنا الكرام قصة سادسة وهي

الابن التائه

ضاقت ذات يد التوأمين في احد الايام ضيقة شديدة ولم يجدا عملا يكسبان بواسطته لوازمهما المعيشية ، حتى اضطر فرنك اخيراً الى العمل بما كان يكرهه من قبل وهو الاستخدام ، فاستخدم فى محل المستر جوزيف الدرمان براتب متوسط ، ولم تمضي على استخدامه بضعة أيام حتي احرز المكانة اولى بين طبقة المستخدمين امثاله ، فاخذوا ينظرون اليه نظرة مقت وحسد

جاءه فى احد الايام غلام من المستخدمين ، ممتل الجسم طائر العينين تدل هيأته علي الخبث واللؤم وقال له

ـ ان مدير المحل يطلب حضورك اليه فى الحال

فنظر فرنك الى الرزم والاوراق التى بين يديه وقال

ـ المستر الدرمان يريد ان يراني ؟

ـ نعم المستر الدرمان مدير المحل الا اذا كان المستر فرنك تاري قد اصبح امره فوق كل امر وتسيطر على ادارة المحل منذ مجيئه الفجائي واستخدامه غير المنتظر

ـ ماهذا الهذيان ياغلام ولم هذا التحامل

ـ كيف لا نكرهك ونمقتك وقد قضينا في هذا المحل السنين الطوال وانت جئت بالامس وترقيت قبلنا ومعارفك لا تحاكي نصف معارفنا فلا بد ان المستر الدرمان قد ادرك ذلك الآن وأرجح ان خروجك من هذا المحل مطروداً سيكون فجائيا كاستخدامك

فلم يجبه فرنك بل غادره مستخفا به وسار الي مكتب المدير فقابله هذا باحتفاء واجلسه على كرسي بجانبه ، وتلطف معه تلطفا لم يكن مألوفا منه ، وهو المعلوم عنه الرجل القاسي الشديد ، ومع ذلك فانه كان ينظر اليه بنظر حاد كأنه يريد اختراق باطنه ثم قال له

ـ لقد مضى علي دخولك في محلنا خمسة اسابيع فرأيت فيك من الذكاء والنباهة فوق ما كنت اؤمل فهل يمكنك ان تمثل دور غلام من سنك من ارباب النبل والشرف ؟

فبهت فرنك من هذا السؤال واطرق حائرا ثم قال

ـ ولكن انا شريف فملا فما الموجب للتمثيل ؟

ـ لا بأس ياولدي فأنا لم اقصد اهانتك وانما لي غاية فاني انتظر قدوم رجل من مستعمرة افريقيا الجنوبية لامر من الاهمية بمكان فهو قد غادر انكلترا منذ اثنتي عشرة سنة وترك ابنه في عهدتي وهو غلام من سنك واريد منك ان تتظاهر امامه بأنك انت هو ذلك الابن

فصمت فرنك ولم يحر جوابا فسأله المدير قائلا

ـ ما بالك لا تجيب . ألم تفهم كلامي

ـ فهمت ياسيدي فانك تريد مني ان امثل للرجل انني ابنه

ـ نعم هو كذلك ولا تكون ابنه الا يوما واحدا فهو يحضر اليوم ويسافر غدا الى افريقيا

ـ واين ابنه الحقيق . هل هو غير قادر على الحضور

فقطب الدرمان حاجبيه وظهرت على وجهه علائم الكدر واجاب

ـ انه غلام كسول لا يرجى منه نفع وهو الان يشتغل في جوق تمثيل يدعى « جوق بوستن » ولا حاجة بنا اليه فهل انت مستعد لقبول اقتراحي وطبعا سأجزل لك المكافأة

وكان فرنك فى حاجة شديدة الى النقود ، لان راتبه كان زهيدا واخاه شارلي بدون عمل ولما أنس منه المستر الدرمان القبول قال

ـ هل يقنعك ان اضاعف لك راتبك

ـ اقبل علي هذا الشرط

ـ احسنت . اذن لقد تم الاتفاق بيننا فاذهب حالا ورتب ملابسك واصلح هيأتك فو الدك سيحضر قريبا

خرج فرنك من غرفة المدير وهو كثير الارتباك حتي انه لم يتمكن من المثابرة على عمله بنشاط لكثرة ما تراكت فى مخيلته من الافكار. وبعد ساعة دعى الى مكتب المدير فسار اليه ولما دخل المكتب قال الدرمان لرجل كبير الجسم اشيب الشعر كان جالسا بالقرب منه

ـ هوذا ابنك يامستر بويتن

فالتفت الرجل الى فرنك ونظر اليه بتخفف وحنو والدي ومد يده لمصافحته قائلا

ـ اظنك لاتتذكرهيئتى فانا أبوك ولكنك ستألفنى حالا وتسر منى سيما عندما نسافر غدا الى افريقيا

فأجفل فرنك وقال

ـ الى اين ؟

ـ الى افريقيا يابني فهي بلاد الخير وستكون وطنك المقبل افلا ترغب في ركوب الخيل فوق سهول «الفلدت» حيث النسيم العليل يمر بك منعشا لجسمك

ـ كلا . فاني لا أقدر على مبارحة انكلترا

ـ لا تستعجل ياولدي فسنبحث في الامر فيما بعد ولا بد ان تقتنع

فقال المستر الدرمان وهو ينظر الى فرنك نظرة تطمين ان لا يخاف

ـ اظن انك مخطيء في اخذ ابنك الآن من هذه البلاد

ـ ما هذا الكلام يامستر الدرمان فقد كنت انتظر منك ان تساعدني على اقناعه بالذهاب معي لأن ذلك في مصلحته وقد قضى معك الى الان مدة طويلة فالواجب عليك ان تحبه مثلي وترغب في منفعته واني ارى من هيأة الغلام انه يحب الرياضة والهواء المطلق وهناك الشيء الكثير من ذلك

ـ انت مخطيء يامستر نويتن في هذا الامر فان ابنك ميال الي تحصيل العلوم فحرام عليك ان تأخذه قبل ان يتمم علومه

قال ذلك وهو يظهر الحزن الشديد كأنه يصعب عليه فراق الغلام ولكنه بالحقيقة كان يخشى اصراره على أخذ الغلام . فيخاف فرنك ويفتضح الامر . ثم ما لبث ان اخذ يذرف الدموع واردف قائلا

ـ انى احمل فراق الغلام المريض بصبر ولكني لا اريد ان يضيع مستقبله

فوضع بويتن يده الكبيرة بلطف على كتفه وقال

ـ خفف عنك يا عزيزي الدرمان ولا تستسلم للعواطف وانت أدرى الناس برقة احساسي وشعوري فلندع الآن الغلام يذهب ويفكر في الامر مقدار نصف ساعة ريثما نبحث نحن في مشروع العمل ؛ ولو لم يتبين لى انك حافظت على عهدك معي وبذلت مابذلت من العناية بالصبي لانى اراه في حالة جيدة من الصحة لخسرت الصفقة التجارية العظيمة التى ساعقدها معك حين وصولى الى افريقيا مكافأة لك على اتعابك

ـ اني كنت اعلم ذلك علم اليقين

فلما سمع فرنك ذلك الحديث كاد يتميز غيظا ، لانه ادرك انه يساعد مخدومه على خدع بويتن فى امر من الامور ، وخرج الى محل عمله حزينا مغموما ، فسر زملاؤه عند مارأوا علامات الكدر ظاهرة على وجهه ، ظنا منهم انه طرد من وظيفته

وبعد نصف ساعة عاد فرنك الى مكتب المدير ، فقال له والده المزعوم

ـ اذن قررت ان تبقى في انجلترا ريثما تتم علومك ؟

ـ نعم ياسيدى

ـ لا بأس من بقائك عاما آخر

فقال المستر الدرمان

ـ هذا معظم مايلزمه من الزمن

فنهض بويتن ووضع بيد فرنك ورقة بنكوت ذات عشرة جنيهات ، وودعها وانصرف لانجاز المهام المتعلقة باشغاله ، والتى يجب عليه انجازها قبل سفره ، وضحك الدرمان بعدخروجه وقال بصوت مسموع . ـ

يا له من شيخ معتوه ابله

وامر فرنك ان يذهب الى عمله ، فخرج فرنك لمباشرة اشغاله وكانت كلها على نمط واحد ، الى أن انقضى النهار واقفل المكتب ، فاسرع الى محل سكناه فوجد رقعة من اخيه شارلى يقول له فيها

« اراك غداً . عندى اخبار سارة . لا تقلق » .

فتكدر فرنك لانه كان يود ان يحادث شارلي فى حوادث ذلك اليوم ، فتناول العشاء وحده من غير قابلية واضطجع على فراشه وفى الصباح ذهب الى محل شغله كالعادة ، وفى الساعة العاشرة قرع جرس مكتب المستر الدرمان بشدة ، فدخل عليه فرنك وما

ان رآه المدير حتى ظهر علي وجهه علامات الاستغراب وقال له

ـ اراك هنا

ـ لقد اتيت فى الساعة التاسعة تماما كما هي العادة

ـ اذن ما الذي يقصده المستر بويتن بتلغرافه هذا ؟

قال ذلك وناوله التلغراف فاخذه فرنك وتلاه وهذا نصه

« قابلت ابنى بعد ماتركت مكتبك صدفة واتفاقا وهو »

« مسافر معى اليوم »

فلبث فرنك مدة بعد قراءة البرقية ساكتا ، ثم خطر له خاطر اخافه واثار هواجسه ، وتساءل قائلا : ـ

ـ أترى قابل المستر بويتن اخي شارلى ورضى أن يسافر معه وللحال امتقع لونه واخذت شفتاه ترتجفان فقال له الدرمان

ـ مابالك ياغلام ؟

ـ شارلى . . .

نطق باسم اخيه بلهجة حزينة مرة اثرت فى نفس المدير ولم يزد ولكنه لم يلبث ان اضاء وجهه بفكر جديد وقال بصوت مسموع

ـ تقلع الباخرة بالمستر بويتن من ميناء سوثا مبتون الساعة الثالثة بعد الظهر

ـ ولكن عبارتك هذه مبهمة لايفهم القصد منها

فلم يجبه فرنك بل نظر الى الساعة فاذا هى العاشرة والنصف فهرول خارجا من المكتب بسرعة البرق الى الشارع دون ن نظر الى مخدومه اويقول كلمة واستقل اول سيارة قابلها وقال للسائق

ـ اسرع الى محطة فيكتوريا

ولما وصل اليها سأل عن اول قطار يقوم الى سوثامبتون ،فقيل له انه يقوم فى الساعة الثانية والدقيقة أربعون ، اى انه لايبلغ ميناء سوثامبتون قبل الساعة الخامسة ، وقيل له أن هناك قطارا يسافر بعد خمس دقائق لى « ايستيليه » وهذه لاتبعد سوى اثنا عشر ميلا عن سوثامبتون ، فقطع تذكرة الى تلك البلدة وقال فى نفسه

ومن هناك استأجر سيارة لان لله الحمد النقود متوفرة لدى

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وقف القطار بمحطة ايستيلية فنزل فرنك وصار يبحث عن سيارة فوقع نظره على اعلان معلق على جدار ، فقرأ فيه اسم جوق بوستن ، فجعل يفكر وقى سمع هذا الاسم بالحال تذكر أن المستر الدمان ذكره أمامه ، وقال أ ابن بوبتن يشتغل فيه فقال : ـ

لماذا لااسأل عنه وآخذه الى والده ،

وظهر له أنه اذا توفق في ذلك حلت العقدة ، ويكون قد

كفر عن ذنبه في خداع المستر بويتن ، ويخلص اخاه من السفر الى افريقيا ، فاسرع واستأجر سيارة وأعطى السائق العنوان الذي قرأه في الاعلانات ، وقال له أنه يضاعف له الاجرة اذا سار باقصى سرعته

ولما وصلت السيارة الى الجهة التي كان الجوق يقيم فيها ، نزل فرنك وقال للسائق

ـ لا تأخر عنك أكثر من نصف ساعة ثم نسير الى سوثامبتون توآ

ـ لا بأس وسأوصلك اليها في الميعاد وان كانت الطريق رديئة

وأخذ فرنك يستعلم عن ابن بويتن فلم يجد من يعرفه ، ولما قطع أمله من الاهتداء اليه هم بالرجوع ، واذ التقى به عرضا وعرفه من ملامحه ، لانه كان يشابه اباه تماما ؟ فناداه فرنك باسم أبيه كالمستعلم فقال له

ـ نعم أنا بويتن

ـ تعالى معي حالا فعندي خبر يتعلق بك وهو من الاهمية بمكان . .

وكانت لهجة فرنك جدية فتبعه الفتى ، ولما بلغا السيارة قال له فرنك

ـ اصعد وأجلس معي في السيارة

فامتثل بويتن وقال

ـ هذا اليوم لهو عندي من أحسن الايام لركوبي السيارة اذ قلما يتسنى لي ركوبها

وبينما كانت السيارة مسرعة بهما قال فرنك

ـ مأقولك في السفر الى افريقيا ؟

فاجفل الفتى من هذا السؤال الغريب ثم قال

ـ اني مستعد لعمل كل ماتريد بشرط ان تبسط لي غايتك

فقص عليه فرنك كل ماحدث من الاول الى الاخر فقال بويتن

ـ الحمد لله وأنا اشكرك يامستر تاري فان ذلك الوغد الدرمان عاملني اسوأ معاملة واهمل أمر العناية بي كل الاهمال حتي اضطرني الى مغادرة بيته وعسى والدي ان يجازيه على ماقدمت يداه

وبعد نصف ساعة وصلت السيارة الى سوثامبتون ووقفت بهما عند الشاطىء ، فاشار فرنك الى باخرة كبيرة وقال لرفيقه

ـ هاهي الباخرة التي ستقلع بوالدك

فنزلا وهرولا مسرعين الى الرصيف ، وكان جرس الباخرة يقرع والبخار يتصاعد ، فقال لهما أحد النوتية

ـ لقد تأخرتما ياولدي فالسفينة على وشك القيام

فقال فرنك

ـ لا بد من وصولنا الى السفينة قبل قيامها

ـ قلت لكما انكما متأخران وسترفع مراسي الباخرة بعد ربع ساعة وكل الركاب صاروا على ظهرها الان

ـ ولكن المسألة خطيرة جدا وتتوقف عليها حياة احدنا أو موته

ـ اذن ادخلا بشرط ان لا تتأخرا اكثر من عشر دقائق

فصعدا الى السفينة وأخذا يتأملان وجوه الركاب ، الى أن رأى فرنك المستر بويتن فناداه باسمه ، فالتفت هذا ولما رأى فرنك قال له

ـ لماذا غادرت غرفتك وقد كان في نيتك أن تنام ؟

ـ أرجوك أن لا تأخذ شارلى الى افريقيا بصحبتك

وقص عليه القصة من أولها الى آخرها ، وأفهمه أن الذي صحبه الى السفينة هو أخوه شارلى وأنه يشبهه تماما وقال بآخر كلامه

ـ وهو ذا ابنك الحقيق

فنظر المستر بويتن الي ولسن وتأمله جيداً وقال

ـ بالحقيقه ان هذا هو ابنى لانه يشبهنى كثيرا

ثم اعتذر له فرنك عما فعل فقال له

ـ لقد كفرت عما بدر منك يا بني

ثم كتب بضع كلمات على ورقة واعطاها افرنك ، ليرسل بها اشارة برقية الى الدرمان يقول له فيها . انه اطلع على غدره وخيانته وألغى كل عمل وقطع معه كل علاقة ، ثم اجزل مكافأة فرنك وأخيه شارلى وقال لهما

ـ اذا شئتما يوما السفر الى افريقيا فاكتبا الى فادير لكما شغلا هناك

فشكراه وودعاه وابنه وغادر الباخرة وهى تبوق ايذانا بالرحيل

•

قلب الاسد

كثيرون ممن يحضرون تمثيل رواية صلاح الدين الايوبي ولم يطلعون علي التاريخ ، فلا يعلمون من هو قلب الاسد ولا مقامه من عالم التاريخ ، وأكثر منهم الذين يسمعون بذكره ولم يحضروا تمثيل الرواية الانفة الذكر ، ولا طالعوا التاريخ ليعلمون من هو قلب الاسد ، وعليه عثرت علي قطعة ممتعة من هذا الملك العظيم ، تشرح سيرة حياته وما كان من فعاله واعماله الى أن سقط قتيلا تحت أسوار ليموج فى فرنسا ، وها أنا ازفها للقراء السامرات قصة شائقة أو صفحة تاريخية رائقة

هو ريكاردوس بلانتا جنت ابن هنري الثانى ملك انكلترا ، ولد فى اكسفورد سنة ١١٥٧ وكان فى أيام والده يشتغل فى أمور الملك ، وتسلم اليه المهام الخطيرة ، ويرسل فى الحملات العسرة قبل أن يبلغ التاسعة عشرة من عمره ، فنجح فى كثير مما عهد اليه مما أدى الامر بوالده أن ولاه على ولاية اكوتانيا ، ثم خطر لوالده أن يقيله من الولاية فرفض الخضوع ، وحصلت بينه وبين أخوته وأبيه أمور كثيرة أدت الى وفاة هنري الثانى وصيرورة الملك اليه ، وكان أمراء الانكليز يتمنون له ذلك ويريدون الفوز لهذا

الباسل المقدام ، ففرحوا باستلامه زمام الملك وعاهدوه على الطاعة وكان ذلك فى ٩ يوليو سنة ١١٨٩

كان ريكاردوس قلب الاسد ميالا الى الحروب ، وله ارتباط وعلائق بفرسان هاتيك الايام وابطال الهيكلين وهم من الماسون قيل انه انتظم فى هذه الجمعية يوم كان ولى عهد المملكة ، وانتخب رئيسا اعظم لمحافل انكلترا الماسونية ، وكان عصره عصر حرب وقتال كما كان يحب ويميل ، وذلك ان اوربا بأسرها نهضت فى ذلك الحين لمحاربة العرب ، بغية اخراجهم من الاراضى المقدسة والاستيلاء على اورشليم ، وتعرف هذه الحروب بالحروب الصليبية ، وذكرها اشهر من نار على علم ، فما صدق قلب الاسد ان سمع بها حتى نادى فى امراء بلاده وأبطال قومه ، للاستعداد لتلك الحرب الضروس فقامت البلاد لقيامه ، ولكنه رأى أن المسير لا يمكن له بغير المال فاقترض مبلغا طائلا لانفاقه على ايصال الجيش الى شطوط سورية وكان حليفاً لفيليب ملك فرنسا منذ الصغر ، اذ قد التجأ اليه ايام خلافه مع ابيه ، فتخابر الملكان في الامر واتفقا على ان يسيرا معاً لمحاربة المسلمين ، فاجتمعت جيوش فرنسا وانكلترا سنة ١١٩٠ فى سهول « فيزلى » وعدتها مائة الف محارب ، وبينما هى على

وشك الرحيل حدث خلاف بين ريكاردوس وملك فرنسا ، وسببه رغبة ريكاردوس فى الاقتران ببرنغاريا احدى اميرات نافار ، مع انه كان خاطبا لاخت ملك فرنسا، فسافرت عساكر فرنسا وحدها ثم سافرت بعدها عساكر انكلترا الى صقليه ومنها الى بلاد الشام في سنة ١١٩١ ، وصادفتها انواء وعواصف شديدة في البحر حطمت اكثر سفنها ، فما وصلت بقية الجيش الانكليزي الى قبرس الا وهى فى حالة الضعف الشديد

كان صاحب قبرس من ذوى المطامع، فلم يرق لديه مجيء الجيش الانكليزي تحت قيادة هذا البطل الصنديد وتظاهر القوم بالعداء فحاربه قلب الاسد وانتصر عليه وسجنه مدة حياته ، واقترن بخطيبته برنغاريا فى تلك الجزيرة . ثم سار الى عكا فوصلها بعد سنة من يوم قيامه من انكلترا . ووجد فيليب ملك فرنسا فيها ، وكانت عكا يومئذ مرسح القتال والنزال ، يريد الافرنج اغتصابها من العرب ولا يقدرون ، فاجتمع ملوكهم وتشاوروا فى الامر واقروا أن يكون قلب الاسد رئيسا عاما للحملة ، ووافق بقية الامراء على ذلك فى الظاهر ولكنهم اضمروا لريكاردوس العداء فى الباطن ، ومن ذلك اليوم بدأ الخصام بين ملوك الافرنج وكانت آخر هذا الخصام وبالا عليهم

شدد قلب الاسد الحصار على عكا مع انه كان مريضا بالطاعون فى اوائل الحصار ، وملك البلد عنوة بعد أن اظهر من البسالة والدراية الحربية شيئا كثيرا ، وعرف السلطان صلاح الدين الايوبى بصفات قلب الاسد ومقدرته وكان قلب الاسد يسمع أيضا عن صلاح الدين كل صفة محمودة ، فنمت فى قلبيهما محبة بعضهما بغير تقابل ولا اجتماع

ثم زحف ريكاردوس من عكا الى يافا ، فكسر جيوش العرب فى ارسوف وملك يافا ، ثم كثرت المناوشات بين الطرفين ، وريكاردوس يتقدم الى المواقع ويملكها بحسن درايته وقوة عزمه مع أن بعض امراء الفرنج كانوا يقاومونه فى السر والجهر ، حتى جاء عسقلان وانتشب القتال العنيف بينه وبين العرب ودام طويلا ، ولكن النصر فى اخر الامر كان له وسلمت عسقلان لرجاله فى اوائل سنة ١١٩٢ ومن ذلك الحين عظم قدر هذا الملك الباسل وخرت لهيبته الابطال ، واعترف الاعداء والانصار بقوته وسمو مواهبه : ومن ثم عزم على مهاجمة بيت المقدس التى كانت سبب هذه الحرب ومطمح انظار الفرنج ومركز قوة العرب ، ولولا ان تعود الافرنج على الشقاق والنفار لوقعت فى ايديهم فى مدة رئاسة قلب الاسد

وبعد ان تروي فى الامر قليلا ، رأى ان الهجوم على المدينة عبث مادام الذين جاؤا لنصرته صاروا اضدادا له ، فرجع عنها

متحسرا على عدم امتلاكها ، وكان العرب يومئذ قد عادوا الى يافا وشددوا الحصار عليها ، فبادر ريكاردوس الى تفريج كربتها واراحها منهم ، ورأى عند ذلك ان ليس في امكانه ان يفعل اكثر مما فعل ، وخابر السلطان صلاح الدين فى الصلح ، فرضى هذا الشهم الفريد بذلك وتصالح البطلان ، ثم اجتمعا بعد الصلح فباح كل منهما بما يكنه من الاحترام للاخر، وهكذا انتهت حملة الانكليز على بلاد الشام وعاد قلب الاسد بمن بقي من ابطاله الى انكلترا

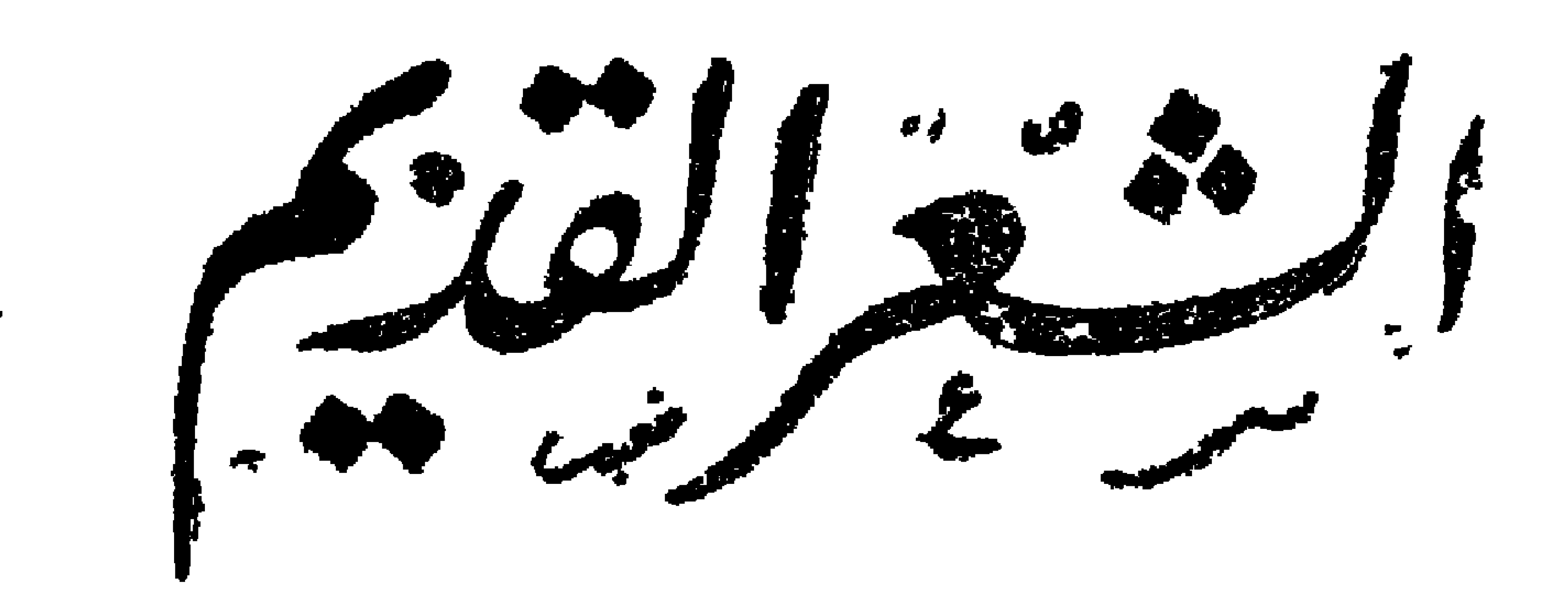
واصاب سفن ريكاردوس نوء شديد فى رجوعها كما اصابها عند حضورها فتكسرت ونجا من نجا منها عند صقلية وكان ينوى الرجوع الى احد املاكه في فرنسا برا فلما وصل الى النمسا عرف به الامير الدوك ليو بولد ، وكان يضمر له عداء شديدا ، فالقي عليه القبض فرحا بوقوعه بين يديه وسمع امبراطور النمسا باسر قلب الاسد فارسل واشتراه من هذا الامير بمبلغ طائل من المال لان الاخر يكرهه ويبغضه فاراد اذلاله ، ووضعه في سجن خفي على أن يبقيه فيه مدة حياته ، وسر ملك فرنسا بذلك الا ان بقية امراء اوربا احتقروا امبراطور النمسا على هذا الصنيع وعيروه بقلة مروءته وسوء معاملته لاشهر ابطال الفرنج

وكان اهل انجلترا شديدى الميل الى انقاذ ملكهم و لكنهم

لا يعلمون محل سجنه فارسلوا للبحث عليه أحد الاعوان من الذين خالطوه وكان هذا الرجل قد حفظ ابياتا من الشعر نظمه ريكاردوس فطفق يدور فى البلاد وهو ينشد ذلك النشيد علما منه بان قلب الاسد اذا سمعه عرف بيت القصيد منه واتفق انه مر بسجن هذا البطل وهو ينشد الابيات فسمعها ريكاردوس وفهم القصد منها واجابه بتكرارها وبهذه الوسيلة عرف امراء انكلترا مكان ملكهم فعزموا على انقاذه بالرغم عن معارضة اخيه جون الذى خلفه على الملك فأتوا كل حيلة حتى اقنعوا امبراطور النمسا بالافراج عنه ، لقاء مال كثير يفتدونه به وجمعوه بالاكتتاب وأرسلوه اليه ، فأطلق سبيله على كره منه

ووصل قلب الاسد انكلترا فى اوائل سنة ١١٩٤ ، فوجد أن أخاه جون اختلس منه الملك مدة غيابه فلم يستعص عليه أمر خذلانه لان كل الابطال والامراء انضموا اليه فى الحال . وصفح ريكاردوس عن أخيه شأن الابطال الكرام ، ثم جعل همه اصلاح الشئون [illegible] ابلة تحت [illegible] والعداء فجهز حملة ووجهها الى فرنسا وبينما كان محاصرا ليموج أصابه تحت اسوارها سهم كان القاضى عليه ، ودفن فى ارض فرنسا سنة ١١٩٤

انتهى



قالت الخنساء تندب أخيها صخر

يا عين جودي بالدمو   ع فقد جفت عنك الموارد

وابكي لصخر انه   شق الفؤاد لما يكابد

المستضاف من السنين   اذا قسا عنها المحارد

حين الرياح بلائل   نكب هوانجها صوارد

ينفين عن نيط السما   ء ظلالا والماء جامد

مزقا تطردها الريا   ح كانها خرق طرائد

والمال عند ذوى البقيـ   ة والغنى خدم شرائد

فيفك كربة من تمخـ   خ نقية الدول الجهائد

حتى يؤوب بما يؤو   ب كثير فضل العرف حامد

ونداك مختضر ونور   ك في دجى الظلماء وافد

لو ترسل الابل الظما   ء يسمن ليس لهن قائد

تيممتك يد لها   جدواك والسبل الموارد

والناس سابلة الي ... لك فصادر يثني ووارد
يغشون منك غطامطا ... جاشت بوابله الرواعد
يا ابن القروم ذوى الحجى ... وابن الخضارمة المراقد
وابن المهاثر للمها ... ثر زانها الشيم المواجد
وحماة من يدعي اذا ... ما طار عند الموت عارد
ومماصم للهالكيـ ... ـن وسادة قدما عاشد

وقالت من البسيط

عيني جودا بدمع منكما جودا ... جوداولا تعدافي اليوم موعود
هل تدريان على من ذا سبلتكما ... على ابن امي ابيت الليل معمود
دارت بنا الارض او كادت تدور ... يالهف نفسي فقد لاقيت صنديدا
يا عين فابكي فتى محضا ضرائبه ... صعبا مراقبة سهلا اذا أريدا
لا يأخذ الخسف في قوم فيغضبهم ... ولا تراه اذا ما قام محدودا
ولا يقوم الى ابن العم يشتمه ... ولا يدب الى الجارات تخويدا
كانما خلق الرحمن صورته ... دينار عين يراه الناس منقودا
اذهب حريبا جزاك الله جنته ... عنا وخلدت في الفردوس تخليدا
قد عشت فينا ولا ترمى بفاحشة ... حتي توفاك رب الناس محمودا

ولابن النبيه

قال يمدح الملك الاشرف السلطان مظفر الدين ابا الفتح موسى ابن ابي بكر بن ايوب ويذكر كسره لعساكر الموصل

لما انثنى الغصن فوق كثبانه جبرت قلبي بكسر رمانه

ونلت من ريقه وعارضه اطيب من راحه وريحانه

كان ذاك العذار حاشية خرجها ناسخ لنسيانه

شد الكلهبند (١) تحت لمته في ملتقى ورده وسوسانه

كأنه ارقم تخوف فالـ تفت بالفاف زهر بستانه

تروعني في الساق شعرته لانها مثل ليل هجرانه

تجذب اطرافها حياصته بخلا بما شذ تحت هميانه

يالائمي ان بكيت كل شبيح من شأنه الافتضاح من شأنه

انت معافى مما بليت به وعند قلبي شغل بأشجانه

ان الذي للغرام ارشدني اضلني عن طريق سلوانه

سرى ضنى خصره الى جسدى والخد اعدى الحشا بنيرانه

(١) كلمة فارسية مركبة من كله وبند ، الاولى بمعنى مايلبث فوق الرأس والثانية بمعنى ما ربط ومجموعها اسم لشيء كالشريط يشد به ... الرأس الى الذقن كي لا يقع وتسميه العامة « زناق »

ان لم تر البدر بين انجمه　　فانظر اليه ما بين اقرانه

أغار فى حلبة الطراد على　　خدوده من غبار ميدانه

تلقي أعادي موسى كما لقيت　　كراته عند ضرب جوكانه

الملك الاشرف الكريم يدا　　شاه ارمن دام عز سلطانه

ملك زمام الزمان فى يده　　فاختلفت كاختلاف الوانه

بيضاء يوم انطلاق انعمه　　حمراء يوم اعتقال مرانه

تحكم اعداؤه بنصرته　　اذا استهلت نجوم خرصانه

عساكر الموصل التي انكسرت　　تخبر عن نفسه وفرسانه

يوم اتى جمعهم وقد قدحت　　سنابك الخيل زند نيرانه

تفرعنوا باجتماع كيدهم　　فالتقفتهم آيات ثعبانه

اغرقهم بحر جيشه فهمو　　كآل فرعون تحت طوفانه

ياوارث الارض وهو واهبها　　يامالكا دام عز سلطانه

لايمكن الخلق هدم مجدك　　خلق قد شاد أس بنيانه

ماتاج كسرى نظير كمته　　وليس ايوانه كديوانه

يا آل شادي زدتم [illegible]　　[illegible]

(وقال يمدحه ويستعطفه)

افديه ان حفظ الهوى او ضيعا　　ملك الفؤاد فما عسى ان يصنعا

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه　　حلوا فقد جهل المحبة وادعى

ياايها الوجه الجميل تدارك الـ صبر الجميل فقدعفي وتضعضعا
هل في فؤادك رحمة لمتيم ضمت جوانحه فؤادا موجعا
هل من سبيل ان ابث صبابتي أو اشتكي بلواي أو اتوجعا
اني لاستحي كما عودتني بسوى رضاك اليك ان اتشفعا
ياعين عذرك في جبينك واضح حي لفرقته دما أو ادمعا
الله ابدى البدر من ازراره والشمس من قسمات موسي اطلعا
الاشرف الملك الذي ساد الورى كهلا ومكتمل الشباب ومرضعا
ردت به شمس السماح على الورى فاستبشروا ورأوا موسى يوشعا
سهل اذا لمس العفاسال الندى صعب اذا لحظ الاصم تصدعا
يابرق هذا منك اصدق شيمة ياغيث هذا منك احسن موقعا
ياروض هذا منك ابهج منظرا يابحر هذا منك اعذب مشرعا
ياصبح هذا منك اسفر غرة يانجم هذا منك اهدى مطلعا
حملت انامله السيوف فلم تزل شكرا لذلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل من در افواه الملوك مرصعا
أمظفر الدين استمع قولى وقل لمثار عبد انت مالكه لعا
ايضيق بي حرم اصطناعك بعدما قد كان منفرجا علي موسعا
هذا وقد طرزت باسمك مدحة لا يرتضي شنف الثريا مسمعا
عذراء ماقعد الزمان بربها الا وقام بها خطيبا مصقعا
وعلى كلا الحالين اني شاكر داع لان الله يسمع من دعا

معرض الفكاهة

ف الزبدية

اوى المعلم حسن الظريف ذات ليلة الي بيته ، وكان رجلا فقيراً ظريفا فكيها ، يعتاش من احسان الناس وكرمهم، لا يملك الا قوت يومه وهو مع ذلك قانع راض بما قسمه الله له ، وكانت زوجته وفق اخلاقه وعلى نسق طباعه ، لا يتذمران ولا يشكيان بل دأبهما الضحك والسرور والمفاكهة والمنادمة

تناول عشاءه تلك الليلة مع زوجته وجلس يشرب القهوة ويتسامر معها ، فلم يشعر الا ولص قدتسور البيت،فضحك ضحكة ذات معان وقال فى نفسه —

اخزاه الله ما الذى يناله من بيتنا ونحن لا نملك قوت الغد. فوالله لأعطينه درساً لا ينساه مدى العمر

والتفت الى زوجته وقال لها بصوت يكاد يشبه الهمس

ـ كلما سألتك عن شيء لا تعترضى بل صادقى على قولى واجيبيني انه فى الزبدية وفى النهاية اسألك اين وضعت الزبدية فقولى انها بالطاقة التي خلف الباب

وبما أن زوجته كانت تعلم من طباعه ونكاته الشيء الكثير فلم تعترض عليه واجابته بالايجاب، فتنحنح قليلا ثم قال بصوت مرتفع ليسمع اللص

ـ اى فاطمة ارأيت كيف ان الله سبحانه وتعالى قد من علينا بمؤونة الشتاء القادم فان حاكمنا أطال الله بقاه لم يكد يسمع بحقيقة حالتي حتى اكرمنى بخمسين جنيها . حقا لقد كدت أفقد عقلى من شدة الفرح ولذا فانى اسرعت بها اليك فأين وضعها ؟

ـ فى الزبدية

ـ فى الزبدية ! . ألم تجدي لها محلا غير هذا ؟

ـ اين تريد أن أضعها وليس لدينا اثاث ولا رياش

ـ حسنا والثلثمائة جنيها التى أتت الى جارنا التاجر محمد الغرابي فى هذا المساء ولم يأمن عليها فى بيته خوف اللصوص فدفعها الينا لنحفظها له الى الصباح لعلمه ان منزلنا خال خاء لا مطمع للصوص فيه فأين وضعتها هي الاخرى ؟

ـ فى الزبدية أيضا

ـ ما شاء الله . وحلى السيدة زينب هانم زوجة فاضل باشا البالغ قيمتها ما يزيد عن الف جنيه، تخشى ابقاءها فى منزلها وتضعه دائما عندنا فأين مكانها ؟

ـ كنت أضعها دائما في الزبدية ولما حضرت النقود في هذه الليلة وضعتها فوقها

ـ حسنا وأين وضعت هذه الزبدية ؟

ـ في الطاقة التي خلف باب هذه الغرفة

ـ عجيب أمرك . ألا تخافين اللصوص ؟

ـ وما الذي يرتجيه اللصوص من عندنا ونحن أفقر الفقراء

ـ نعم هذا القول . ولكن ما بالحرص من باس ولا يذمه أحد من الناس اما كان الافضل وضعها في مكان اخر غير الطاقة

ـ ولكن عندي أن الطاقة أحسن مكان لها وآمن لان اللصوص حين مباغتتهم المنازل لا يتعرضون الى الاشياء الظاهرة لاعينهم بل يقصدون الاماكن الخفية فيقلبون الاثاث ويفتحون الصناديق لعلمهم ان كل ذي قيمة يكون مستورا

ـ صحيح صحيح بارك الله فيك

وهنا انقطع الحديث عن هذه الاشياء، ودخلوا في حديثهم المعتاد . هذا واللص واقف يصغي ولم تفته كلمة فقال في نفسه . ـ انها لصفقة رابحة . فلا انهب ولا أنصب بل انتظر الى أن ينام هذان الابلهان فادخل وأتناول الزبدية بما فيها وأخرج من حيث أتيت

ولما انتهت السهرة وأصلحا فراشها تناول المعلم حسن الزبدية ، ووضع فيها بعض قطع من حديد صغير وحصى وتغوط فوقها ، ثم وضع الزبدية في الطاقة المعلومة ، وزوجته تنظر اليه متعجبة من أمره ، فغمزها بطرف عينه ان تسكت ولا تنطق بكلمة ! ثم اطفأ النور كما هي عادتها ودخلا الفراش ! وانتظر اللص حتى علم انهما غرقا في بحر نومهما وفتح الباب بهدوء وانسل الى الداخل وتلمس الطاقة حتى عثر بها ، وتناول الزبدية فوجدها ثقيلة فصح عنده الخبر ، وبينما هو عازم على الخروج خطر له أن يفرغ مافيها في عبه حذرا من أن الزبدية تعيقه ، فما كان منه الا وفتح عبه وافرغ مافيها : وللحال شم رائحة كريهة وأحس بمادة لزجة علقت بثيابه ، فجسها بيده ووجدها غائطا ، فاستولى عليه غيظ شديد غير انه لم يمكنه ان يفعل شيئا ، ولكنه عزم على توبيخ المعلم حسن الظريف على فعلته هذه قبل ان يبارح المنزل ، فقصده في فراشه وهزه منبها قائلا

ـ عم . عم . عم

فتظاهر المعلم حسن كمن يستيقظ من سبات عميق وقال

ـ نعم . فمن انت وماذا تريد ؟

ـ اريد ان اقول لك ان الذي في الزبدية ليكن بدقن الكاذب